جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مستويات الغريب في صحيح البيان النبوي
دراسة في مقامات الكلام وأسراره

إعداد

د/ عبد الله محمد سليمان حسيني

أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية اللغة العربية بالزقازيق– جامعة الأزهر
وكلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك خالد

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

مستويات الغريب في صحيح البيان النبوي "دراسة في مقامات الكلام وأسراره"

عبد الله محمد سليمان حسيني
قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية بالزقازيق جامعة الأزهر، مصر.
وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: ahusieny@kku.edu.sa

الملخص:

يعكف هذا البحث على دراسة الغريب في بيان النبوة في مستوياته اللغوية المختلفة، وتحليله تحليلًا بلاغيًا في سياقاته ومقاماته؛ للوقوف على أسبابه ومناشئه، ومحاولة الكشف عن بعض مكنون أسراره ونكاته، ورصد بعض خصائصه وسماته، والوقوف على كيفية موافقته للمقام، ومطابقته لمقتضى الحال، ووفائه بالمعنى والغرض، في محاولة لإبراز جانب من جوانب العظمة في البيان النبوي، الذي هو الصفوة من كلام البشر، والذروة منه، وخلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، منها: تداخل المستويات الثلاثة التي انضوت تحتها تلك الألفاظ الغريبة، ورقة الحد الفاصل بينها؛ فجميع العناصر اللغوية التي يتألَّف منها متفاعلة ومتداخلة معًا في إيصال المعنى، كما أن الألفاظ الغريبة جاءت مصورة للمقام، وملبية لحاجة المعنى وطبيعة الموقف، ثم إن استعمال هذه الألفاظ جاء مطابقًا لمقتضى حال المخاطبين بها؛ حيث كان بعض السائلين يميل للتقعر واستعمال الغريب، فخاطبهم ﷺ بما يعرفون وبه يتشدقون، وتبين – أيضًا– اجتماع أكثر من لفظ غريب في سياق واحد من البيان النبوي، وتعانقها؛ إذ يفسر بعضها بعضًا، ويقرر بعضها معنى الآخر.

الكلمات المفتاحية: مستويات، الغريب، صحيح، البيان، النبوي، مقامات، أسرار.

Levels of the Stranger in Sahih Al-Bayan Al-Nabawi "A Study of the Statuses and Secrets of Speech."

Abdullah Muhammad Suleiman Hosseini
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language in Zagazig, Al-Azhar University, Egypt.
College of Arts and Human Sciences, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: ahusieny@kku.edu.sa

Abstract:
This research studies the strangeness in explaining prophecy at its various linguistic levels, and analyzes it rhetorically in its contexts and positions. To find out its causes and origins, and try to reveal some of its hidden secrets and jokes, and monitor some of its characteristics and characteristics, and find out how it agrees with the position, and matches the requirements of the situation, and fulfills its meaning and purpose, in an attempt to highlight an aspect of the greatness in the prophetic statement, which is the elite of human speech, And the peak of it, and this study concluded several results, including: The overlap of the three levels under which these strange words are included, and the thinness of the boundary between them. All the linguistic elements that it consists of interact and intertwine together in conveying the meaning, and the strange words came to depict the position and meet the need for the meaning and the nature of the situation. Then, the use of these words came in accordance with the requirements of the situation of those being addressed by them. As some of the questioners tended to be condescending and use the strange, so he (peace and blessings of God be upon him) addressed them with what they knew and used to rant about. It also became clear that more than one strange word came together in one context of the Prophet's statement, and they embraced each other. Some explain each other, and some determine the meaning of the other.

Keywords: Levels, Strange, Authentic, Statement, Prophetic, Shrines, Secrets.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أفصح العرب أجمعين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد،

فالبيان النبوي جنسٌ من أجناس البيان، ونمطٌ فريدٌ من أنماطه؛ إذ يتبوأ منه القمة، ويبلغ فيه ذروة السنام من البلاغة الإنسانية، ولا عجب في ذلك فهو قبس من مشكاة الوحي التي يشملها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٣- ٤]، ويقررها قوله ﷺ: "ألَا إنّي أُوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه..".[1]

وغريب الحديث ضرب من ضروب البيان النبوي، ونوع متميز من أنواعه، وله من السمات والخصائص ما ينفرد به عن ضروب البيان النبوي الأخرى، ويستقل بها عنه؛ إذ يتميز بالعمق وقوة الدلالة، ونهاية الفخامة والجزالة؛ لأنه يجمع – في سمته وطبيعته– بين المستويات اللغوية المختلفة، كالمستوى الدلالي، والمستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، وغير ذلك مما تثرى به الدلالة، ويغزر به العطاء، ويتسع به المعنى.

وهذا الموضوع الذي جاء بعنوان: "مستويات الغريب في صحيح البيان النبوي دراسة في مقامات الكلام وأسراره" يعكف على دراسة الغريب في بيان النبوة في مستوياته اللغوية المختلفة، وتحليله تحليلًا بلاغيًا في سياقاته ومقاماته؛ للوقوف على أسبابه ومناشئه، ومحاولة الكشف عن بعض مكنون أسراره ونكاته،

---

١ – سنن أبي داود: ٤/ ٢٠٠، باب في لزوم السنة، رقم الحديث: ٤٦٠٤، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).

ورصد بعض خصائصه وسماته، والوقوف على كيفية موافقته للمقام، ومطابقته لمقتضى الحال، ووفائه بالمعنى والغرض، في محاولة لإبراز جانب من جوانب العظمة في البيان النبوي، الذي هو الصفوة من كلام البشر، والذروة منه.

وقد دفعني لاختيار هذا البحث عدة أسباب، منها:

١. جدة الموضوع، فلم أقف على بحث مستقل[١]، تناول هذا الموضوع من الوجهة البلاغية في البيان النبوي.

١-هناك دراسات سابقة، قد يظن للوهلة الأولى أن لها صلة بعنوان هذا البحث، إلا أنني حين رجعت إليها، وقارنت بينها وبين منهج هذه الدراسة، وطريقة تناول الألفاظ الغريبة، وجدت فرقًا بين تلك الدراسات التي سبقتني في هذا الموضوع، وكان لكل باحث جهده الخاص، وطريقته الفريدة إلى حاجته، يقتدح لها زناد رأيه، ويأتيها من مأتاها، ويتطلبها من مبغاتها، ومن ذلك ما أمكنني الوصول إليه، والاطلاع عليه:

- التوجيه البلاغي للغريب في الحديث النبوي "دراسة في أحاديث مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي"، رسالة ماجستير للباحث: كريم محمد محمد صديق، كلية دار العلوم- جامعة القاهرة، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، وذكر الباحث أن الغريب كان من الكثرة بمكان، فاختار منه ما وجد في شرحه النكات البلاغية، والحلل البيانية، والتفسيرات الأسلوبية، وجعل هذا عماد رسالته وصلب موضوعها.
- البلاغة النبوية في كتب غريب الحديث -الفائق في غريب الحديث أنموذجًا- للباحث: وليد خنيش، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة- الجزائر، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، ٢٠١٩م، وذكر الكاتب أنه درس في هذا المقال الأساليب البلاغية التي ذكرها الزمخشري في كتابه "الفائق" خلالَ شرحه الألفاظَ الواردةَ في الأحاديث النبوية، وأن هذا المقال يقيم الدلائل والبراهين على أن البلاغة النبوية كانت محل عناية من قبل العلماء المتقدمين، وإن لم يفردوا ذلك بالتأليف والتصنيف -لاعتبارات مختلفة، فقد كانوا على دراية تامة بذلك، وهو ما نراه واضحًا جليًا في ثنايا كتبهم، كشروح الحديث، وغريب الحديث، وكتب الأدب، والبلاغة، وغيرها.

٢. كثرة مواضع الغريب في البيان النبوي كثرة لافتة، وهذا لا يجيء في البيان النبوي عرضًا، أو كيفما اتفق، وإنما له دواعيه ومقتضياته التي تتطلب تتبعها والكشف عنها.

٣. محاولة التوفيق والمواءمة بين اللفظ الغريب وسياقه الذي ورد فيه، والحال التي اقتضته في البيان النبوي.

٤. محاولة التعرف على بعض خصائص الغريب وسماته في البيان النبوي.

وقد جاء هذا الموضوع في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس تفصيلي لموضوعات البحث.

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والخطة التي سرت عليها، والمنهج المتبع في الدراسة.

التمهيد: تناولت فيه مفهوم الغريب في المعاجم اللغوية، وعند علماء الحديث، وكذلك عند البلاغيين، وذيلته بآراء العلماء في أسباب كثرة الغريب في البيان النبوي.

المبحث الأول: الغريب على المستوى الدلالي.

المبحث الثاني: الغريب على المستوى الصوتي.

المبحث الثالث: الغريب على المستوى الصرفي.

الخاتمة: ضمنتها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ثبت المصادر والمراجع: أودعته أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، وأفدت منها في هذا البحث.

الفهرس التفصيلي للموضوعات التي عالجها البحث.

وأما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج اللغوي التحليلي الذي يقوم على تحليل الأحاديث المشتملة على الغريب في صحيح البيان النبوي، وإبراز سماتها البيانية، والوقوف على دلالاتها البلاغية، ومحاولة التوفيق بين اللفظ الغريب وسياقه الذي ورد فيه، وفق الخطة السابقة.

واعتمدت في جمع المادة العلمية على ما دُوّن في الكتب المشهورة لغريب الحديث، والمعتمدة في هذا الباب؛ إلا أنني آثرت أن أنتقي منها ما ورد في الصحيح، وتجاوزت عمّا دون ذلك؛ ليتسق هذا النهج مع ما خططته لنفسي في بناء هذا البحث، ومعالجة أجزائه.

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه – سبحانه– على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

التمهيد

مفهوم الغريب في المعاجم اللغوية:

تدور كلمة "الغريب" في المعاجم اللغوية حول عدة معانٍ، منها: "القلة والندرة"؛ حيث علَّق الأزهريُّ على حديث "بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء"[1] بقوله: "أراد أنَّ أهلَ الإسلامِ حين بدأ كانوا قليلًا، وهم في آخر الزمان يَقِلُّون، إلا أنهم أخيارٌ".[2]

ومنها "البُعد"، وقد فسَّر الأزهري حديث عمر: " هل كان فيكم مِنْ مُغَرِّبَةِ خَبَرٍ؟"[3]؛ فقال: "أي: هل من خبر جاء من بُعْدٍ. وأحسَبُ أنَّ اشتقاق الغريب من هذا".[4]

ومنها "الجِدَّة"[5]، كما في حديث عائشة –رضي الله عنها–: "كلُّ خِلالها محمودٌ ما خلا سَوْرةً من غَرْبٍ كانت فيها".[6]

---

١ – صحيح مسلم: ١/ ١٣٠، باب بدأ الإسلام غريبًا، رقم الحديث: ١٤٥، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

٢ – لسان العرب لابن منظور: ١ / ٦٣٩ "غرب"، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣ – السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي: ٨/ ٣٥٩، باب من قال: يحبس ثلاثة أيام، رقم الحديث: ١٦٨٨٧، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

٤ – تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري: ٨/ ١١٨، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٥ – لسان العرب: ١ / ٦٤١ "غرب".

٦ – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: ١٦/ ٣٨، باب ذكر الأمر بمحبة عائشة إذ المصطفى ﷺ كان يحبها، رقم الحديث: ٧١٠٥، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.

ومنها "الطُّروء والحداثة"، وقد ورد في المثل: "ضربه ضَرْب غرائب الإبل"[١]، وذلك أنَّ الغريبة تزدحم على الحياض عند الورود، وصاحب الحوض يطردها ليحفظ الماء وفيرًا أمام إبله.

وأقرب هذه المعاني وأكثرها انطباقًا على ما في الحديث الشريف؛ معنى القلة والندرة، أو الجدة والطرافة والحداثة والبعد.

مفهوم الغريب عند علماء الحديث:

يهدف علم غريب الحديث إلى تبيان معاني ألفاظ الحديث التي قد تدق وتغمض على كثير من المهتمين بالبيان النبوي الشريف، وبخاصة بعد ضعف السليقة العربية في منتصف القرن الثاني للهجرة، وأبهم بعض الكلام، ونبا عنه الفهم، وحارت فيه البصائر؛ حيث انطلق العلماء يضعون التصانيف، ويدونون الكتب التي اختصت بهذا العلم، ودارت في فلكه؛ للكشف عن غوامض ألفاظ الحديث النبوي، والسعي لإجلاء خفي معانيه.

وممن وقف على معنى الغريب أبو سليمان الخطابي الذي ذكر أن الغريب من الكلم: إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، وقال إنه يطلق على وجهين: أحدهما: أنه يراد به بعيد المعنى غامضه، ولا يتناوله الفهم إلا بعد معاناة وفكر، والوجه الأخر: أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها.[٢]

---

١ – مجمع الأمثال للميداني: ١ / ٤١٩، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة– بيروت، (د.ت).

– ٢غريب الحديث للخطابي: ١/ ٧٠ وما بعدها، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر– دمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

فعلم غريب الحديث يراد به تلك الألفاظ التي وقعت في متون الأحاديث النبوية، وكانت غامضة بعيدة من الفهم؛ لقلة استعمالها، وندرة دورانها على لسان من يحتج بكلامهم من هؤلاء العرب الخلص.

مفهوم الغريب عند البلاغيين:

عد البلاغيون الغرابة عيبًا من العيوب المخلة بفصاحة الكلمة، واشترطوا لقبولها ووصفها بالفصاحة خلوها من هذا العيب، وذكروا أن الغرابة أمران:

أحدهما: تلك الكلمة التي تحتاج في فهم معناها وتجليته إلى بحث وتنقير في بطون المعاجم، وكتب اللغة المبسوطة، والمرجع في ذلك العرب الخلص، فلا يلتفت إلى غيرهم من المحدثين الذين ظهروا بعد فساد اللغة وضعف السليقة، وذكروا لذلك أمثلة كثيرة، منها: ألفاظ: "زرجون، واسفنط، وخندريس" التي تطلق على الخمر، ومنها: "الحلقد" الذي يراد به سيء الخلق..، وغير ذلك من الأمثلة التي ذكرها البلاغيون.

الآخر: الكلمة التي تحتمل أكثر من وجه، واحتار السامع في فهم المعنى المراد منها؛ لعدم وجود قرينة تعيِّن المعنى وتحدده، وذكروا مثالًا لذلك قول رؤبة بن العجاج:

أيَّـــامَ أبْـــدَتْ واضِـــحًا مُفَلَّجَـــا أغَـــرَّ برَّاقًـــا وطرفـــا أبْرَجـــا

ومُقْلَـــةً وحاجِـبـــًا مـزجَّجَـــا وفاحِمًـــا ومَرْسِـــنًا مُسَـــرَّجا

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله "مسرَّجا" حتى اختلف في تخريجه.[١]

على أن سفور المعنى، وشدة ظهوره قبح مستهجن، كليل الخاطر، وعيب مشين في الكلام البليغ؛ لأن المتلقي إذا سمع كلامًا واستنفد كل ما فيه فقد أمات النص، وذهب برونقه؛ لأنه ليس عليه للفصاحة ظل، كما أنه يدل على تخلف الملكة، وخفة المادة، والنص الجيد إنما يقلب له وجوه الرأي، ويصرف فيه أعنة الفكر، ومع كل هذا لا يفصح لك عن كل ما فيه، وكلما كررته زاد عطاؤه، وأبان لك عن خفي مضمونه، وسطع عليه أشعة الظهور، وهذا هو النص البليغ.

والمتأمل فيما أورده البلاغيون في التمثيل للغرابة يجد أنهم قد تداولوا قول عيسى بن عمر، أو غيره، لما سقط عن حمار، فاجتمع الناس عليه، فقال: "ما لكم تكأكأتم علىّ تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عنى"؛ فكلمتا "تكأكأتم" و"افرنقعوا" حينما نعيد قراءتهما في السياق الذي قيلا فيه نجد أنها وإن كانت الكلمة غير فصيحة لقوم إلا أنها بليغة في سياقها؛ لأنها جاءت لغاية، وكانت مطابقة لواقع الحال، وقد يكون الشيء غير مأنوس ولكن المقام يقتضيه، والحال يستدعيه.

فالمتكلم أراد أن يصور بكلمة "افرنقعوا" ما فعله به هؤلاء القوم، حيث اجتمعوا عليه والتفوا، وغض بهم المكان واكتظ، وكان تجمعهم عليه كتجمع أصوات كلمة "تكأكأ" تلك الكلمة الصعبة؛ لأنهم احتشدوا عليه احتشادًا لا مثيل

١- راجع مفهوم الغرابة عند البلاغيين في المطول لسعد الدين التفتازاني: ١٤١، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، والإيضاح للخطيب القزويني وبهامشه بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي: ١/ ١٣- ١٥، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي: ١/ ٦١ وما بعدها ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

لـه، ولا يطـاق كمـا لا تطـاق كلمـة "تكأكأتم"، ثـم يريـد منـهم أن يتركـوه فـي لحظـة واحـدة، وأن لا يتفرقـوا تفرقًـا هينًـا، فكلمـة "افرنقعـوا" تشـير إلـى أن الحـدث يكـون بسرعة شديدة، فلا يتسللوا واحدًا واحدًا، وإنما يوجههم أن يتفرقوا دفعة واحدة، فهو يصور لهم عن طريق أصوات الكلمات ما يجيش في صدره، وما يدور في خلده.

والألفـاظ الغريبـة المبثوثـة فـي صـحيح البيـان النبـوي إنمـا تـرتبط بـالمعنى ارتباطًـا وثيقًـا، ويلـتمس إليهـا مسـاغًا وبلاغًـا، وتصـور الموقـف تصـويرًا دقيقًـا، يتطـابق مـع المقـام ومقتضـى الحـال علـى أكمـل وجـه، وأجـزل فائـدة، وأتـم عائـدة، بحيث يصعب استبدال غيرها بها، وهذا ما سينجلي لنا في صلب هذا البحث إن شاء الله تعالى.

أسباب كثرة الغريب في البيان النبوي:

تعددت أسباب كثرة ورود الغريب في البيان النبوي، وتنوعت إلا أن أهم هذه الأسباب وأشهرها ما يأتي:

١- فهم الصحابة – رضوان الله عليهم- لما يتكلم به رسول الله ﷺ وما ينطق به من ألفاظ وعبارات، حتى ما خفي عنهم سألوه عنه، وأزالوا الإشكال الذي قد يدور حوله.

٢- تفاوت مراتب السامعين في الحفظ والإتقان؛ فقد يسمع أحدهم الكلام من رسول الله ﷺ فلا يتيسر له حفظه وحصره، فيستدرك المراد بالفحوى، ويتعلق منه بالمعنى.

٣- اختلاف اللهجات لاختلاف القبائل؛ فقد كان يحضر مجلس رسول الله – ﷺ أخلاط من الناس، قبائلهم شتى، ولغاتهم مختلفة؛ فربما سمع أحدهم اللفظ من رسول الله ﷺ فعبر عنه بلسان قبيلته ولغته التي نشأ عليها، فيجتمع في الحديث الواحد – إذا تشعبت طرقه- عدة ألفاظ مختلفة، موجبها شيء واحد.. إلى غير ذلك من الأسباب المدونة في كتب الغريب.[١]

١- ينظر على سبيل المثال: غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم: ١/ ١٧، تحقيق: =

المبحث الأول: الغريب على المستوى الدلالي:

تشكل دراسة المعنى الدلالي مجالًا واسعًا من علم اللغة؛ ولذا عدَّ علماء اللغة دراسة المعنى هو الهدف الأول لهذا العلم، وأن تناول المعنى الدلالي هو اللبنة الأولى التي ينبغي البدء بها عند دراسة الكلمة؛ بغية الوقوف على دلالتها وتبيان معناها.

وللمستوى الدلالي أهمية خاصة في دراسة الغريب في البيان النبوي؛ حيث انتظمت ألفاظ كثيرة تحت هذا المستوى، وكان لكل لفظة منها مقام خاص وغرض محدد سيق من أجله الكلام، وفي هذا المحور سيسعى البحث لإزالة اللثام عن هذا الأمر، ويحاول أن يميط حجابه، ويكشف عنه القناع بالدراسة المتأنية والتحليل الدقيق، وذلك في أحد عشر مقامًا، انتظمها البحث على النحو الآتي:

أولًا: مقام سوق البشرى بظهور أمة النبي ﷺ على سائر الأمم

ومن صور الغرابة في هذا المقام التي تنضوي تحت المستوى الدلالي، ما ورد في حديث ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِي لي منها..".[1]

=

د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، وغريب الحديث لابن قتيبة الدينوري: ١/ ٣٤، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، والدلائل في غريب الحديث للسرقسطي: ١/ ٧٦، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان– الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م، وغريب الحديث للخطابي: ١/ ٧٠ وما بعدها.

١– صحيح مسلم: ٤/ ٢٢١٥، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم الحديث: ٢٢٨٩.

وردت لفظة "زوي" – هنا– في مقام يسوق فيه النبي ﷺ البشرى لأمته، وإظهار كمال قدرة الله – سبحانه وتعالى– وقهره المخلوقات كلها.

وهذه اللفظة أوفق بهذا السياق لدلالتها على الجمع والقبض والانضمام، وما وراء ذلك من قهر وإلجاء وقسر، يصور غاية انقياد الأرض لأمر الله – تعالى– وأنها طوع إرادته، وتحت تصرفه.

ثم إن هذه المفردة فيها إشارة إلى الانضمام والاجتماع في حيز ضيق. يقول أحمد بن فارس: "الزاء والواو والياء أصل يدل على انضمام وتجمع. يقال زويت الشيء: جمعته.. ويقال زوى الرجل ما بين عينيه، إذا قبضه"[1]، وهذا أظهر في الدلالة على القدرة القاهرة، والقوة المطلقة، فالله – سبحانه– لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

ووجه آخر يوحي به التعبير بكلمة "زوى"، وهو تطابقها – في موقعها ودلالتها– مع مقتضى حال السامعين في الدهشة والاستغراب؛ فقد كانوا في موقف ضعف وقلة، ويحيط الأعداء بهم من كل جانب.

وقرينة هذا من تندر ضعاف النفوس، وتغامز فاسدي العقيدة، وسخريتهم واستهزائهم بهذا الكلام النبوي، فقد قال المنافقون – فيما بشر به النبي ﷺ من خزائن كسرى وقيصر: "كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط".[2]

١– مقاييس اللغة: ٣/ ٣٤ "زوى".

٢– السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٥٢٢، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ– ١٩٥٥م.

وإنما بُني الفعل – ثانيًا– لغير الفاعل لتعينه؛ بدلالة قرينة السياق في قوله "إن الله زوى لي الأرض"، وإنما أسندت الجملة إلى لفظ الجلالة – أولًا– لأنه أفخم وأعظم، وأقوى في تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس السامعين وأمكن.

والتعبير بصيغة الماضي فيه تقرير وتأكيد على حصول هذا الأمر؛ لدلالته على تحقق الوقوع، وكأنه أمر مسلَّم قد حدث فعلًا، فلا مجاذبة فيه لظن، ولا يخامره ريب، ولا تعترضه شبهة يأس.

والجملة من الفعل وما يتعلق به قد وقع في موقع المسند، ولا شك في أن الإخبار بالجملة في هذا المقام أقوى وآكد؛ لأن دلالة الجملة أكثر إفادة من دلالة المفرد "باعتبار توسيع قاعدة زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى"؛ لحصول الإفادة بالجملة على وجه الاستقلال.

وتقديم الجار والمجرور "لي" على المفعول لإفادة القصر والاختصاص، وما وراء ذلك من زيادة في تقرير المعنى وتوكيده، فمثل هذه العطايا الربانية والبشريات الإلهية من الأمور التي اختص بها النبي ﷺ ولم يطلع عليها أحد غيره.

وتفيد الألف واللام في لفظ "الأرض" الجنس، وهذا أوفق بمقام البشارة لما في ذلك من دلالة العموم والشمول، حيث يشمل كل موضع على سطح الأرض، وهذا ينبئ باتساع ملك أمة النبي ﷺ وامتداد سلطانه في مشارق الأرض ومغاربها، وقد وقع كل ذلك كما أخبر به من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

ثانيًا: مقام تصوير حال الإيمان في انقباضه وانتشاره

ونجد اللفظة الآتية التي تندرج تحت غريب المستوى الدلالي في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: "إن الإيمان ليأرز إلى

المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها"[1]، ولفظ مسلم من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: "إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها".[2]

فكلمة "يأرز" عدها أصحاب الغريب من هذا الباب، وهي أوفق بتصوير حال الإيمان في اجتماعه وانقباضه إلى المدينة، وانتشاره منها مرة أخرى، كما تلوذ الحية بجحرها ثم تنتشر منه مرة أخرى؛ لأن الإسلام بدأ وانتشر من المدينة – أولًا، ثم يجتمع ويأوي إليها لينتشر منها – ثانيًا.

وفي إيثار هذه اللفظة – التي تدل على الضم والاجتماع– إيحاء بثبات أهل المدينة على الإيمان، وفرط تمسكهم به، وصحة عقيدتهم، وأنهم في مأمن من الفتنة، وقرينة هذا من حرمة دخول الدجال مكة والمدينة، كما ورد في حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة، والمدينة، ليس له من نقابها نقبٌ، إلا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاثَ رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق".[3]

كما أن هذه اللفظة فيها دلالة – أيضًا– على تحصن الإيمان بالمدينة واحتماء المؤمنين بها في أزمان الأهواء والبدع، وتفشي الزيغ والفتن؛ ولذلك فإن الدجال سيدخل القرى كلها، غير مكة والمدينة، حرمتا عليه، ومنعتا منه، والمؤمنون متفرقون في الأرض فيجمعهم الله.

ودخول اللام على الفعل "يأزر" لمزيد التأكيد، وقوة التمكين لتلك النفوس، فتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين، وصيغة المضارع تشير إلى

١– صحيح البخاري: ٣/ ٢١، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة، رقم الحديث: ١٨٧٦.

٢– صحيح مسلم: ١/ ١٣١، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، رقم الحديث: ١٤٦.

٣– صحيح البخاري: ٣/ ٢٢، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة، رقم الحديث: ١٨٨١، وصحيح مسلم: ٤/ ٢٢٦٥، باب قصة الجساسة، رقم الحديث: ٢٩٤٣.

أن هذا هو ديدن أهل المدينة ودأبهم مع الإيمان الذي لا ينفك عنها، مرة بعد مرة وحالًا بعد حال.

وهذا يومئ من طرف خفي إلى كثرة النوازل والبلايا والفتن التي تصيب هذه الأمة، وتؤدي إلى تفريط كثير من أهل الإسلام بدينهم، وانجرافهم وراء الأهواء والفتن التي تشيع في الناس آخر الزمان.

والحديث خرج مخرج التشبيه التمثيلي – الذي جسم الأمر المعنوي وأبرزه في صورة محسوسة– تكاد تراها العين وتلامسها الأيدي؛ حيث شبه هيئة الإيمان – حين يأوي أو يجتمع إلى المدينة ليحتمي بها، ثم ينتشر مرة أخرى– بهيئة الحية التي تأوي إلى جحرها وتنضم إليه عند حدوث ما يفزعها، ثم تنتشر منه مرة أخرى.

ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تجمع وانقباض يليه انتشار وتفرق، وهو هيئة عقلية كما ترى.

ثالثًا: مقام النصح والتوجيه والإرشاد

ويندرج في هذا المقام لفظتا "ذا الطُّفْيَتَيْن" و "الأبتر" الواردتان في حديث ابن عمر – رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: "اقتلوا الحيّات وذا الطُّفْيَتَيْن والأبتر، فإنهما يستسقطان الحبَل ويلتمسان البصر".[١]

ومعلوم أن مقامات النصح والتوجيه والإرشاد من المقامات التي تتطلب فضل توضيح وتقرير ومزيد بيان وتفصيل؛ ليعلق الأمر بالذهن ويستقر في وجدان المنصوح، فيقدم على امتثاله بجد وحرص؛ ومن ثم أخرج الحديث مخرج

١– صحيح مسلم: ٤/ ١٧٥٢، باب قتل الحيات وغيرها، رقم الحديث: ٢٢٣٣، وصحيح البخاري: ٤/ ١٢٧، باب قول الله تعالى: "وبث فيها من كل دابة"، رقم الحديث: ٣٢٩٧.

الإطناب بذكر الخاص بعد العام، فإن ذا الطفيتين والأبتر من جنس الحيّات المأمور بقتلها أولًا في قوله "اقتلوا الحيات"؛ وذلك لشدة خطورتهما وعظيم أذاهما.

فإن المقصود من الطفيتين: الخطَّان الأبيضان على ظهر الحية، وأصل الطُّفْيَة خُوصَةُ الْمُقْل، وجمعها طُفْيٌ، شُبِّه الخطان على ظهرها بخوصتي المقل، والمقل ثمر الدوم[1]، و"الأبتر" هو قصير الذنب، وقال النضر بن شميل: هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب، لا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما في بطنها، وإنما سمي بذلك لقصر ذنبه كأنه بتر منه.[2]

وقرينة هذا من إتباع الحكم بعلته في قوله "فإنهما يستسقطان الحبل ويلتمسان البصر"، فالمرأة الحامل إذا نظرت إليهما وخافت أسقطت الحمل غالبًا، ويخطفان البصر ويطمسانه بمجرد نظرهما إليه؛ لخاصة جعلها الله – تعالى– في بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان.

ولا شك في أن إتباع الحكم بعلته أبلغ في تقريره وتوكيده، وحث النفوس على امتثاله والالتزام بمضمونه؛ فإن علة الحكم هي دليله المصحح له، وبرهانه المقتضي له في المنطق والعقل.

والعلة جاءت مقررة بـ"إنّ" و"الفاء" و"اسمية الجملة"؛ لأن المقام يقتضي هذا التوكيد، فهو مقام طلب، بدلالة الأمر السابق الذي يثير في النفس تساؤلًا عن سبب الحكم وعلته؛ فنزل المخاطب لذلك منزلة السائل الطالب، فحسن توكيد الكلام له؛ إلا أن دخول الفاء على الجملة جعلها نصًا صريحًا في العلية.

١– مقاييس اللغة: ٣/ ٤١٤ "طفو".

٢– لسان العرب: ٤/ ٣٨ "بتر".

وإسناد فعل القتل إلى واو الجماعة للدلالة على أن الخطاب موجه إلى الجميع، وأنه مما لا يختص به أحد دون أحد، وفي هذا إشارة – أيضًا– على عظم الأمر وبالغ خطورته.

ولا يخفى أن الجمع بين "الحيات" و"ذا الطفيتين" و"الأبتر" من باب مراعاة النظير؛ فإنها جميعًا من جنس الزواحف وخبيث الدواب.

والجملة فيها ترقٍ من الأدنى إلى الأعلى؛ فبدأ بالأقل خطورة – وهو جنس الحَيَّات على العموم– ثم انتقل لذكر الأخطر فالأخطر، فبدأ بذي الطفيتين، وهو أكثر خطورة من عموم جنس الحَيَّات وأقل من الأبتر، وختم بأعلاها خطرًا، وأشدها إيذاءً، وأكثرها سمية، وهو الأبتر، لتتعانق كل هذه الأساليب على تقرير الأمر وتوكيده، وأنه مما ينبغي أن يحمل على محمل الجد، وأن يشحذ له العزيمة.

والتعبير بالمضارع في قوله "يستسقطان–يلتمسان" للدلالة على التجدد والحدوث، وأن هذين الفعلين مما يتكرر منهما مرة بعد مرة وحالًا بعد حال، كلما تحينا الأسباب لذلك، ولاحت لهما الفرصة للانقضاض على فريستهما.

وإسناد الفعل إلى سببه "يستسقطان–يلتمسان" من باب المجاز العقلي، وفي التعبير بالمجاز إشارة إلى قوة السبب وفاعليته في إحداث الاستسقاط والالتماس، فبناء التركيب على هذا النحو فيه تأكيد على بالغ قدرة هذه الحيات على الأذى، وشدة خطورتها على الحبل والبصر.

رابعًا: مقام تصوير فضائل الأنصار وشدة قربهم من رسول الله ﷺ

ويقع تحت هذا المقام – في الغرابة الدلالية– لفظتا "كَرِشِي" و"عيْبَتِي" من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: "أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم".[1]

وكلمة "كرشي" عدها أصحاب الغريب من هذا الباب، وهي أبلغ في تصوير فضائل الأنصار وبيان مكانتهم من رسول الله ﷺ؛ لدلالتها على شدة لصوقهم به وقربهم منه، وأنهم جماعته وخاصته الذين يعتمد عليهم في أموره ويثق بهم في شؤونه؛ فإن الكرش تطلق على الجماعة من الناس، فالأنصار هم بطانته ﷺ وصحابته.

وكان أبو بكر، والعباس –رضي الله عنهما– قد مرا بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، وكان ذلك في مرضه ﷺ فخافوا أن يموت من مرضه، فيفقدوا مجلسه، فبكوا حزنًا على ذلك.

وإنما ضرب المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه وبه بقاؤه، ويقال: لفلان كرش منثورة، أي: عيال كثيرة.[2]

وتشبيه الأنصار بالكرش صورة حسية تؤكد على شدة قربهم من النبي ﷺ وعظيم مكانتهم منه، فقد أدوا ما عاهدوا عليه من النصرة وغيرها، فهم خير من واسى بالنفس والمال، وهم الذين استقبلوا النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة بلهفة المشتاق، وحداء البهجة والترحاب.

١– صحيح البخاري: ٥/ ٣٤، باب قول النبي ﷺ "اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم"، رقم الحديث: ٣٧٩٩، وصحيح مسلم: ٤/ ١٩٤٩، باب من فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم الحديث: ٢٥١٠.

٢– راجع: فتح الباري لابن حجر: ٧/ ٢١.

ومما زاد المعنى وضوحًا وجلاءً مجيء تلك الكلمة الغريبة على صيغة "فَعِل" التي تفيد المبالغة في حبه ﷺ لهم، وقرب مودتهم إلى قلبه، ويؤيده ما ورد في حديث عبد الله بن زيد أنه ﷺ قال: "لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها".[١]

واللفظة الغريبة الأخرى في هذا الحديث هي كلمة "العَيْبَة"، ويراد بها وعاء معروف أكبر من المخلاة، يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها، و"عيبة" الرجل موضع سره الذين يأتمنهم على أمره، والجمع عِيَبٌ مثلُ: بَدْرَةٍ وبِدَرٍ، وعِيابٌ وعَيْباتٌ[٢]، وعيبة الثياب مأخوذة من هذا؛ لأنه إنما يضع الرجل فيها خير ثيابه وأفضل متاعه وأنفسه عنده.

ومنه حديث عمر – رضي الله عنه– حين دخل على عائشة فقال: "أقد بلغ من شأنك أن تؤذي النبي ﷺ فقالت: ما لي ولك يا ابن الخطاب عليك بعيبتك –أي اشتغل بأهلك ودعني– فأتى حفصة – رضي الله عنها" .[٣]

فهذه الكلمة ضربها ﷺ مثلًا لأنهم موضع سره وأمانته وخفي أحواله وشؤونه، وهذا من كلامه ﷺ الموجز الفريد الذي لم يسبق إليه.

على أن هناك من ذكر بأن "الكرش" بمنزلة المعدة للإنسان، و"العيبة" مستودع الثياب، والأول أمر باطن والثاني أمر ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة، والأول أولى، وكلا الأمرين مستودع لما يخفى فيه.[٤]

١– صحيح البخاري: ٥/ ١٥٧، باب قول غزوة الطائف، رقم الحديث: ٤٣٣٠.

٢– لسان العرب: ١/ ٣٤ "عيب".

٣– صحيح مسلم: ٣/ ١١٠٥، باب في الإيلاء، واعتزال النساء، وتخييرهن، رقم الحديث: ١٤٧٩.

٤– راجع: فتح الباري لابن حجر.122 /7 :

خامسًا: مقام تصوير عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله

ويمثل هذا المقام لفظة "أقتاب" الواردة في حديث أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه".[1]

والغرابة الكائنة في هذه اللفظة تنسجم مع طبيعة هذا الموقف الغريب؛ فقد كان من الطبيعي أن يجري هذا الرجل على مقتضى علمه من العمل، لكنه خالف هذا الواقع، وجرى على غير المأمول فيه.

ويدل على غرابة الموقف وخروجه على السنن المعهود قرينة السياق؛ بدلالة قوله "فيجتمع إليه أهل النار.."؛ فإن هذه الجملة تدل على عمق المفاجأة وقوة أثر هذا الموقف.

فهذه اللفظة تحقق وجهًا من التناسب في سياق الكلام بين اللفظة وما يجاورها في الشكل والمضمون؛ فقد تقدمها في السياق كلمة "تندلق"، والاندلاق فيه قوة في الخروج، فيناسبه لفظة قوية في المعنى "أقتاب".

والمتأمل في أصوات الكلمتين يجد أنها أصوات قوية؛ فالأولى أصواتها: "القاف– الدال– التاء"، والأخرى: "القاف– التاء– الباء"، والمعاني الغريبة يناسبها ألفاظ غريبة، وكذلك الألفاظ الغريبة قد يجاورها ألفاظ غريبة.

وإضافة "الأقتاب" لـ"البطن" فيها نوع تخصيص، ولا يخفى أن فيها تنفيرًا وتشويهًا وإهانة وتحقيرًا لهذا الرجل.

١– صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٩٠، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، رقم الحديث: ٢٩٨٩.

وإيثار هذه اللفظة في هذا المقام فيه ملائمة لذكر الحمار بعد ذلك؛ فإن القِتْب والقَتَب – في أصل معناه– إكافُ البعير[١]، ويأتي التشبيه بعد ذلك في قوله "فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى" ليؤكد على التنفير من هذه الصورة – أيضًا.

وتخصيص الحمار بالذكر لأنه مثل في الغباء والبله، فهذا الرجل الذي أوتي العلم، ولم يعمل به، صار شبيهًا بالحمار الذي هو مثل في البله والغباء والبلادة، وعدم الانتفاع بالعلم، بدليل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ الجمعة: ٥.[

وبناء المضارع للمجهول – في هذا المقام– "يُؤتى– يُلقى" فيه نوع من الإلجاء والقهر، وهذا أبلغ في الإهانة، وأدخل في التهوين والتحقير من شأن هذا الرجل؛ إذ يؤتى به ويلقى في النار رغمًا عنه، وعلى غير إرادته وهواه.

سادسًا: مقام الإنذار والتحذير

ووردت اللفظة الغريبة التي تمثل هذا المقام في حديث أبي هريرة، قال: لما أنزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دعا رسول الله ﷺ قريشًا، فاجتمعوا فعمّ وخصّ، فقال: "يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار.. يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا".[٢]

فالمراد من الحديث ألا يتكلوا على قرابته ﷺ، فإنه لا يقدر على دفع مكروه يريده الله – تعالى– بهم، وقوله "سأبلها ببلالها" – بفتح الباء الثانية

١– لسان العرب: ١/ ٦٦٠ "قتب".

٢– صحيح مسلم: ١/ ١٩٢، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، رقم الحديث: ٢٠٤.

وكسرها- وهما وجهان مشهوران، والبلال: الماء، ومعنى الحديث سأصلها، ومنه "بلوا أرحامكم"، أي: صلوها.

وإيثار التعبير بهذه الكلمة دون كلمة "أصل" لوفائها بالمعنى المقصود، ودلالتها على الأثر المترتب عليه؛ حيث استعيرت[1] كلمة "سأبلها" لـ"الوصل" استعارة تبعية، وشبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة.

والصورة الاستعارية فيها إثمار الوصل للمحبة والصفاء، فكما أن الأرض إذا سقيت أزهرت، ورؤيت فيها النضارة، وإذا منع عنها الماء وتركت بغير سقي يبست وجفت، وبطلت منفعتها؛ فكذلك الرحم إذا قطعت فلا تثمر إلا الجفاء والبغضاء والحقد والضغائن.

ثم إن ذكر "البلل" دون "الوصل" فيه إشارة إلى أن الوصل حياة الأرحام وامتداد لها، تحيا به فتثمر مودة وصفاء، وتموت بدونه.

ولا يخفى أن جملة "سأبلها ببلالها" فيها دلالة على شدة حرصه ﷺ على صلة رحمه ووصله ذات قرابته، وإيصال الخير والمنفعة لهم، وإرشاده إياهم إلى ما يكون فيه الخير في الدنيا والآخرة.

والفعل المضارع "سأبلها" فيه دلالة على تجدد الصلة وحصولها مرة بعد مرة وحالًا بعد حال، وهذا هو الإسلام بأخلاقه الكريمة وشيمه العظيمة، يحث أتباعه على مداومة صلة الأرحام حتى وإن خالفوهم العقيدة والهوى.

ومجيء الجار والمجرور من جنس العامل "ببلالها" فيه تأكيد للعامل المتقدم وتقوية له، وتعدية الفعل للمصدر المؤكد له للمبالغة في حصول المعنى؛ حتى كأن الوصل هو مادة "البل" حقيقة، ومنه تستمد الرحم طراوتها ونداوتها.

١- هناك استعارتان في هذا التركيب: إحداهما: تبعية في الفعل، والأخرى: أصلية في المصدر.

ومن مظاهر توثيق المعنى دخول السين على الفعل المضارع؛ لما فيها من زيادة تأكيد على إيقاع الحدث وتحقيقه.

سابعًا: مقام الملاعنة

ومن الغريب الذي يمكن أن يندرج تحت هذا المستوى لفظة "حمش" الواردة في حديث أنس بن مالك حيث قال: إن هلال بن أمية قذف امرأته بشريك ابن سحماء، وكان أخا البراء بن مالك لأمه، وكان أول رجل لاعن في الإسلام، قال: فلاعنها، فقال رسول الله ﷺ: "أبصروها، فإن جاءت به أبيض سبطًا قضيء العينين فهو لهلال بن أمية، وإن جاءت به أكحل جعدًا حمش الساقين فهو لشريك ابن سحماء".[١]

و"حمش الساقين" أي: دقيقهما، والحموشة الدقة، فهذه الكلمة تجمع بين دقة الساقين وقبح المنظر، وهي لفظة تتلاءم – في هذا السياق– مع قبح الفاحشة، وعظيم الجرم، كما أنها تتلاءم في غرابتها مع غرابة موقف تلك المرأة التي لاعنت زوجها، وأقسمت على كذبه وبراءتها، وذلك على خلاف الواقع.

وبناء المصدر "حمش" فيه نوع من المبالغة؛ حتى كأن الساقين صارتا نفس الحمش وأصله.

والإضافة فيها نوع من التشويه والتشنيع، بقرينة لفظتي "أكحل" و "جعد"، إذ الأكحل هو الأسمر الذي يضرب للسواد[٢]، والأجعد فيه نوع من خشونة الوجه، ويكون شعره قططًا مفلفلًا كشعر الزنج والنوبة.[٣]

١– صحيح مسلم: ٢/ ١١٣٤، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة، وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، رقم الحديث: ١٤٩٦.

٢– لسان العرب: ١١/ ٥٨٦ "كحل".

٣– لسان العرب: ٣/ ١٢٢ "جعد".

ثامنًا: مقام تقرير حرمة هدايا العمال

واللفظة التالية هي "عفرتي" الواردة في حديث أبي حميد الساعدي، قال: استعمل النبي ﷺ رجلًا من بني أسد يقال له ابن الأُتَبِيَّةِ على صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام النبي ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول: هذا لك وهذا لي، فهلَّا جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيُهدى له أم لا، والذي نفسي بيده، لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه.." .[1]

و"عفرتي إبطيه" – بضم العين وفتحها، والأشهر الضم– قال الأصمعي وآخرون: عفرة الإبط هي البياض ليس بالناصع بل فيه شيء كلون الأرض، وهو مأخوذ من عفر الأرض وهو وجهها.[2]

واللفظة تنبئ عن حسن أدب أصحاب النبي ﷺ وجميل صفاتهم، وطيب ثنائهم؛ حيث عُبر ب"عفرتي إبطيه" – دون بياض إبطيه– لأن العفرة – وهو البياض المشوب بأدمة مما يستحسن عند العرب، أما البياض الخالص فمما يستهجن في غالب الأمر عندهم، كما كانوا يستعملونه كثيرًا عن الذم في بعض الأدواء.

والتعبير فيه كناية عن صفة، وهي شدة المبالغة في الدعاء مع قوة الإلحاح فيه، وهذا من الهدي القويم والسبيل المستقيم الذي علمه النبي ﷺ أمته، فقد بعث رحمة للعالمين، ومُخرجًا لهم من ظلمات الجهالة إلى نور الإسلام بتعاليمه السمحة وأحكامه الرحبة.

١– صحيح البخاري: ٩/ ٧٠، باب هدايا العمال، رقم الحديث: ٧١٧٤، وصحيح مسلم: ٣/ ١٤٦٣، باب تحريم هدايا العمال، رقم الحديث: ١٨٣٢.

٢– لسان العرب: ٤/ ٥٨٥ "عفر".

كما أن الصورة تشي بكناية أخرى، وهي شدة غضبه ﷺ من فعلة هذا الرجل وقوة امتعاضه؛ ولذلك بالغ في رفع يديه حتى رؤيت عفرة إبطيه، حتى لا يكون أسوة سيئة لغيره، فيقتفون أثره وينهجون نهجه.

ولا يخفى أن هذه الجملة فيها إيحاء بضرورة رفع اليدين عاليًا في الدعاء والمبالغة فيه؛ لأنه أعون على القبول وأرجى للإجابة؛ ولذلك جعل البخاري بابًا لهذا الحكم، وعنون له بقوله: "باب رفع الأيدي في الدعاء".[١]

تاسعًا: مقام جواز مخالطة المشركين

ومنه ما ورد في حديث إياس بن سلمة، قال: حدثني أبي، قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها.. فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها فاضطجعت في أصلها، قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ، فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادي، يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم، قال: فاخترطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضغثًا في يدي.. قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات، يقال له: مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس، مجفف في سبعين من المشركين..".[٢]

والمتأمل في هذا الحديث يجد أنه قد احتوى على ثلاثة ألفاظ عدت من باب الغريب. وأول هذه الألفاظ ما ورد في قوله "فكسحت"، والكسح: الكنس؛ كسح البيت والبئر يكسحه كسحًا: كنسه. والمِكْسحة: المِكْنسة، واكتسح أموالهم:

١- صحيح البخاري: ٨/ ٧٤.

٢- صحيح مسلم: ٣/ ١٤٣٣، باب غزوة ذي قرد وغيرها، رقم الحديث: ١٨٠٧.

أخذها كلها؛ يقال: أغاروا عليهم فاكتسحوهم أي أخذوا مالهم كله، ويقال: أتينا بني فلان فاكتسحنا مالهم، أي: لم نبق لهم شيئًا.[1]

فالدلالة المعجمية لهذه اللفظة فيها قوة في الإزالة وعزيمة في الإجهاز على الأمر تتناسب مع شدة إيذاء الشوك وعظيم مضاره، كما أن فيها دلالة – أيضًا– على أن هذا الرجل أزال هذا الشوك بالكلية، ولم يترك منه شيئًا.

ثم إن دلالة هذه اللفظة تتناسب مع طبيعة المكسوح – وهو الشوك– وما في هذه الأرض من السحاء والقتاد والهراس.

والكلمة الثانية هي "ضغثًا"، وأصل الضغث: الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك، فالتعبير بها – في هذا المقام– كناية عن استلابه سلاحهم كله، وعدم تركه شيئًا لهم، وما تشي به من تمكنه عليهم وخضوعهم له، وعدم قدرتهم على دفعه أو رده.

ولا يخفى أن الكلمة مصورة لثقل هذا السلاح وكثرته، وصعوبة حمله، وأنه مما تنوء به الأيدي، فسلاحهم وعتادهم، ومصدر عزهم وكرامتهم حُمِل حزمة واحدة تحت الإبط، كما تحمل حزمة الحشيش أو الريحان.

واللفظة الأخيرة – هنا– هي: "مجَفَّف" وهو بفتح الجيم وفتح الفاء الأولى المشددة، أي: عليه تجفاف – بكسر التاء– وهو ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقيه من السلاح، وجمعه تجافيف.

وتشير هذه الكلمة إلى كامل تهيؤ هذا الفرس، وتمام استعداده للمواجهة والقتال؛ ولذلك جاء عامر بمكرز هذا، يقوده إلى رسول الله ﷺ على هذا الفرس المجفف.

١– لسان العرب: ٢/ ٥٧١، "كسح".

عاشرًا: مقام الحديث عن أشراط الساعة

وينضوي تحت هذا المقام كلمة "قُعَاص" الواردة في حديث عوف بن مالك، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: "اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقُعَاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا..".[١]

والدلالة المعجمية لهذه اللفظة تتناسب مع لفظة "موتان" – وهو الموت كثير الوقوع بسبب طاعون أو نحوه– والأخذ في دلالتها على كثرة الموت وسرعة انتشاره؛ فإنها تفيد الموت السريع مع سرعة الانتشار وقوة الموت وشدته.

والتعبير مبني على صورة تشبيهية دقيقة؛ حيث شبه هيئة الأخذ بهيئة قُعَاص الغنم، وهو داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء، فتموت فجأة، ووجه الشبه يتمثل في السرعة والانتشار والبغتة.

على أن اختيار المشبه به أمر حسي فيه دقة في التعبير وروعة في البيان؛ لتقريب الصورة في أذهان المخاطبين، وتمكنها في نفوسهم، فيتحقق الغرض من التشبيه بأقرب عبارة وأيسر سبيل.

ثم إن المشبه به لصيق الصلة وقوي الوشيجة بتلك البيئة التي يحياها هؤلاء المخاطبون، ومنتزع من أمورهم التي اعتادوها ومارسوها ودرجوا عليها، وهذا من وجه آخر أقدر على تصور المؤمنين لهذا الأمر، وأعون على تيقن هذا الموت الذي يكون بين يدي الساعة واستظهاره وتصوره.

ولا يخفى أن هذه الوسائل تتعانق على تصوير سوء الحال في هذا الطاعون، وكثرة الموتى من المسلمين، وما توحي به تلك الأمارات من صدق نبوته ﷺ، وحرصه على تحذير أمته من فتن آخر الزمان ومستتبعاتها؛ ليتعظ العاقل السعيد، وينجو بنفسه وأحبابه من تلك الأهوال والمدلهمات.

١– صحيح البخاري: ٤/ ١٠١، باب ما يحذر من الغدر، رقم الحديث: ٣١٧٦.

وحرف الظرفية "في" يدل على تمكن هذا الطاعون في بلاد المسلمين واستقراره فيهم، وما وراء ذلك التعبير من شدة البلاء، وعظم المصاب الذي يبتلى به الناس آخر الزمان بين يدي الساعة.

حادي عشر: مقام تحريم وطء الحامل السبية

وينضوي تحت هذا المقام كلمة "مجح" الواردة في حديث أبي الدرداء، عن النبي ﷺ أنه أتى بامرأة مُجِحٍّ على باب فسطاط، فقال: "لعله يريد أن يلم بها"، فقالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: "لقد هممت أن ألعنه لعنًا يدخل معه قبره، كيف يورثه وهو لا يحل له؟ كيف يستخدمه وهو لا يحل له؟" .[1]

والمُجِحُّ هي الحامل التي قربت ولادتها، ووجه الحديث أن يكون الحمل قد ظهر بها قبل أن تسبى، فيقول: إن جاءت بولد وقد وطئها بعد ظهور الحمل لم يحل له أن يجعله مملوكا؛ لأنه لا يدري لعل الذي ظهر لم يكن ظهور الحمل من وطئه، فإن المرأة ربما ظهر بها الحمل، ثم لا يكون شيئًا حتى يحدث بعد ذلك، فيقول: لا يدري لعله ولده؛ وقوله أو كيف يورثه؟ يقول: لا يدري لعل الحمل قد كان بالصحة قبل السباء فكيف يورثه؟

ومعنى الحديث: أنه نهى عن وطء الحوامل حتى يضعن، كما قال يوم أوطاس: ألا لا توطأ حامل حتى تضع، ولا حائل حتى تستبرأ بحيضة.

فهذا التعبير فيه كناية عن حملها واقتراب ولادتها، وإنما آثر التعبير الكنائي لأنه كالدعوى مصحوبة بدليل صدقها وبرهان صحتها؛ لدلالة الكلمة على عظم بطنها وكبر ولدها فيه، وهذا أبلغ في الدلالة على استحقاق هذا الرجل اللعن، لو لعنه رسول الله ﷺ لانتفاء الشبهة وانتفاء العذر بالكلية عنه.

١- صحيح مسلم: ٢/ ١٠٦٥، باب تحريم وطء الحامل المُسْبِيَّة، رقم الحديث: ١٤٤١.

المبحث الثاني: الغريب على المستوى الصوتي:

للجانب الصوتي دور كبير في تعيين المعنى المراد، وإجلاء خفي مفهومه؛ لأن اللغة تقوم أساسًا على "ربط مضمونات الفكر الإنساني بأصوات ينتجها النطق"[١]، وفي هذا المبحث ستسعى الدراسة في إبراز شيء من الدقائق البيانية، وحسر اللثام عن اللطائف البلاغية لغريب البيان النبوي الذي يمكن أن يندرج تحت المستوى الصوتي؛ حتى يخلص إلى نور البيان، وتسطع عليه أشعة الظهور، وذلك في أربعة عشر مقامًا، انتظمها هذا المبحث، وكان ترتيبها على النحو الآتي:

أولًا: مقام تعليم وتوجيه

وينضوي تحت هذا المقام لفظة "خِداج" في حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "من صلَّى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِدَاج".[٢]

وهذه اللفظة – ببنيتها الصوتية– أدخل في هذا المقام، وأوفى بتصوير المعنى والغرض؛ لأنها – إلى جانب دلالتها على النقصان– ترسم صورة منفِّرة ومشوهة لصلاة من لم يقرأ بفاتحة الكتاب، فهي تجمع بين الدلالة على نقص الخلق ونقص المدة، إذ يقال: خدجت الناقة، إذا ألقت ولدها قبل النتاج، أو ألقته ناقص الخلق بعد تمام المدة.[٣]

وفي هذا إشارة إلى خلو الصلاة – بهذه الكيفية– من جميع الفوائد والمنافع؛ سواءً أكانت منافع مادية أم معنوية.

١– علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي"، د. محمود السعران: ٥٥، دار النهضة العربية– بيروت، ١٩٩٢م– ١٤١٢هـ.

٢– صحيح مسلم: ١/ ٢٩٦، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم الحديث: ٣٩٥.

٣– مقاييس اللغة: ٢/ ١٦٤ "خدج".

وتنكير المسند "خداج" للمبالغة في تقليل قدرها وتشويه أمرها، وأن هذه الصلاة لا تُجزئ؛ ولذلك ذهب جمهور العلماء إلى وجوب قراءة الفاتحة، وأنها متعينة لا يجزي غيرها إلا لعاجز عنها، ويؤيده حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ "لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب".[1]

والوصف بالمصدر "خداج" وإقامته مقام المضاف للمبالغة في نقصانها. قال ابن الأثير: "وإنما قال في الصلاة: فهي خداج، والخداج مصدر على حذف المضاف أي ذات خداج"[2]، أو يكون قد وصفها بالمصدر نفسه مبالغة، كما قالوا: فإنما هي إقبال وإدبار، و"أم القرآن" هي الفاتحة، وسميت بذلك لأنه لا تصح صلاة إلا بها، كقوله ﷺ: "الحج عرفة".

ولا يخفى أن الكلام خرج مخرج الاستعارة الأصلية؛ حيث استعار إخداج الناقة وإنضاجها ولدها لنقصان الصلاة وعدم إتمام أركانها، وحذف المشبه وأقام المشبه به مقامه، بجامع النقصان وعدم التمام، وقد يكون الخداج لغير الناقة؛ أنشد ثعلب:

يَـــومَ تَـــرَى مُرْضِـــعَةً خَلُوجـــا وكلَّ أُنْثَى حَمَلَتْ خَدُوجا

وهذا أعم من خداج الناقة، كما ترى.

ودلالة الجملة الاسمية "فهي خداج" يفيد الثبوت ولزوم الوصف للصلاة التي هذه صفاتها، وهذا يقتضي تقريرًا وتوكيدًا للمعنى، وتثبيتًا له.

١- صحيح ابن خزيمة: ١/ ٢٤٨، باب ذكر الدليل على أن الخداج هو النقص الذي لا تجزئ الصلاة معه، رقم الحديث: ٤٩٠، صحيح ابن حبان: ٥/ ٩١، باب ذكر إيقاع النقص على الصلاة إذا لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب، رقم الحديث: ١٧٨٩.

٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير: ٥/ ٣٢٧.

ثانيًا: مقام التحذير من الخوارج وفضح صفاتهم

ومن غريب ألفاظ البيان النبوي الذي يندرج تحت المستوى الصوتي كلمة "ضِئْضِئ" الواردة في حديث أبي سعيد الخدري، يقول: بعث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية في أديم مقروظ، لم تحصل من ترابها.. فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: "من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني" فسأله رجل قتله، فمنعه، فلما ولى قال: "إنه يخرج من ضِئْضِئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية".[١]

فهذه الكلمة تصور – في هذا المقام– الموقف أبلغ تصوير؛ إذ المراد بها الأصل والنسل. يقول أحمد بن فارس: "الضاد والهمزة كلمة صحيحة، وهي الضئضئ، وهو الأصل".[٢]

كما أن في اختيار هذه اللفظة – هنا– مراعاة لغرابة الموقف المتطاول على مقام النبوة؛ حيث نسب هذا الرجل النبي ﷺ إلى ترك العدل في القسمة، فجاءت هذه الكلمة مصورة – بغرابتها الصوتية– لغرابة هذا الموقف؛ ولذلك سأل خالد بن الوليد أو عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما– أن يضرب عنقه؛ إلا أنه ﷺ منعه من ذلك أخذًا بظاهر أمره لعله أن يكون يصلي، ولئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه، ولا سيما من صلى، والتكرار الصوتي في الكلمة – هنا– أوغلت به في الغرابة والبعد.

١– صحيح البخاري: ٤/ ١٣٧، باب قول الله عز وجل: "وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية"، رقم الحديث: ٣٣٤٤، وصحيح مسلم: ٢/ ٧٤١، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم الحديث: ١٠٦٤.

٢– مقاييس اللغة: ٣/ ٣٥٧ "ضأضأ".

وقد يشير تكرار المقطع[1] في هذه الكلمة "ضِئْضِئ" إلى تعاقب هذا الصنف من أصله ونسله، جيلًا بعد جيل، وزمانًا بعد زمان، ولم يكن ظهر ذلك في زمانه ﷺ، وأول ما ظهر في زمان علي – رضي الله عنه–، كما هو مشهور.

والتعبير باسم الإشارة الموضوع للقريب "هذا" زيادة في تحقير شأنه ووضاعة مكانته بعد اتهام رسول الله ﷺ الذي ائتمنه – تعالى– على أهل الأرض جميعًا، ولا يأمنه هؤلاء البغاة الخوارج؛ ولذلك ذكر ﷺ أنه إن أدرك خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف ليقتلنهم قتل ثمود.

كما أن في التعبير باسم الإشارة – أيضًا– لتمييزه أكمل تمييز؛ لتعينه برسمه وعينه؛ فيحتاط المؤمنون الصادقون من تلك الفئة الضالة الذين يخرقون الدين ويتعدونه، ويسارعون إلى المروق منه، فلا ينساق الناس وراء معسول كلامهم، وأنيق ألفاظهم.

ثالثًا: مقام بيان إثم مانع الزكاة

ومن الغريب على المستوى الصوتي أربعة ألفاظ وردن في حديث هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار.. قيل: يا رسول الله، فالإبل؟ قال: "ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر، أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلًا واحدًا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها.. قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟ قال: "ولا صاحب بقر، ولا غنم، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها

١– وهو الباب الذي عنون له عبقري اللغة ابن جني في خصائصه بقوله "باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، وذكر أن هذا "موضع شريف لطيف، وقد نبَّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته". الخصائص: ٢/ ١٥٤– ١٧٠.

بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئًا، ليس فيها عقصاء، ولا جلحاء، ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها..".[١]

فلفظة "قرقر" – بهذه البنية الصوتية– أبلغ في إهانة مانع الزكاة والتحقير من شأنه؛ لدلالتها على شدة الوطء وقسوته وصلابته، وكثرة الوطئات من الإبل؛ فإن القاع القرقر هو المستوي الصلب الواسع، وهذا أقسى في الوطء، وأعمق في الإصابة وبقاء الأثر.

ونجد ثلاثة ألفاظ متتابعة في قوله " ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء"، والعقصاء التي التوى قرناها على أذنيها من خلفها، والجلحاء التي لا قرن لها، والعضباء التي انكسر قرنها الداخل، وهو المشاش.[٢]

والألف الممدودة بالهمزة كان لها أثر بارز في تصوير امتداد النفي المسلط على هذه الأوصاف، ودوامه وفرط لزومه.

فهذه الغنم التي تظهر لمانع الزكاة يجدها مكتملة الهيئة والبنيان؛ للزيادة في عقوبته بكثرتها وقوتها وكمال خلقها، فتكون أثقل في وطئها، كما أن ذوات القرون تكون بقرونها ليكون أنكى وأشد، وأصوب لطعنها ونطحها.

ووراء التعبير بهذه الألفاظ الغريبة تحذير عظيم وإنذار قوي لمانع الزكاة وممسكها، فلعله يرتدع ويؤوب لرشده، ويرجع عن غيه، ويؤدي حق المال الذي أودعه الله إياه، واستخلفه فيه حتى ينجو من كل هذا الشر المستطير والجزاء الوفاق الذي أعد له يوم القيامة.

١– صحيح مسلم: ٢/ ٦٨٠، باب إثم مانع الزكاة، رقم الحديث: ٩٧٨.

٢– لسان العرب: ٧/ ٥٥ "عقص".

رابعًا: مقام آداب قضاء الحاجة

وينتظم في هذا المقام لفظة "رجيع" الواردة في حديث سلمان – رضي الله عنه– قال: "لقد نهانا ﷺ أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم".[1]

وإيثار هذه اللفظة – في هذا المقام– وتفصيل هذه الأمور المنهي عنها أبلغ في سياق الرد؛ لدلالتها على حرص النبي ﷺ على طهارة أتباعه ونظافتهم.

وهذا التفصيل فيه تأكيد – أيضًا– على سمو رسالة هذا الدين، فهو دين الفطرة الذي لا حياء فيه، وأنه ﷺ لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا علمها أمته، وأرشد أتباعه إلى كيفيتها وطريقتها، حتى وإن تعلق ذلك بطهارتهم الداخلية، ومنها الاستنجاء، كما لا يخفى.

و"الرجيع": الروث والعذرة، وهي فعيل بمعنى فاعل؛ لأنه يرجع عن حاله الأولي بعد أن كان طعامًا أو علفًا. يقول الزمخشري: "وامتلأت الطرق من رجيع الدواب وهو روثها".[2]

فالبيان النبوي إنما عبر بهذه اللفظة الغريبة وآثرها على غيرها مثل: "الروث" أو "العذرة"؛ لأن في بنية هذه اللفظة الصوتية لفتًا وتنبيهًا إلى حالتها الأولى، قبل أن تصير روثًا؛ للتنفير من الاستنجاء بها.

١– صحيح مسلم: ١/ ٢٢٣، باب الاستطابة، رقم الحديث: ٢٦٢.

٢– أساس البلاغة: ١/ ٣٣٩ "رجع".

خامسًا: مقام الامتنان والتفضل

واللفظة التي جاءت في هذا المقام هي "الكمأة" الواردة في حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل – رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين".[١]

وإنما خص الكمأة لأنها تخرج دون كلفة أو مشقة؛ إذ هي نوع من الدرنيات والجذور التي لا ورق لها ولا ساق، تخرج في الأرض بدون زرع، وتكثر أيام الخصب وكثرة المطر والرعد، وهذا أبلغ في الامتنان وأدخل في التفضل؛ حيث أخرج لهم – سبحانه– هذا النبات من دون كلفة أو مشقة، مع كثرة فوائده وعظيم منافعه، كما كان الحال مع بني إسرائيل؛ حيث أنزل الله عليهم المن والسلوى من دون تعب منهم أو جهد في طلبه.[٢]

ولفظة "الكمأة" لفظة مصورة لمعناها؛ إذ تدل على الخفاء لما فيها من معنى الاستدارة، فهذا النبات يوجد في الربيع تحت الأرض، وهو أصل مستدير كالقلقاس، لا ساق له ولا عرق، ولونه يميل إلى الغبرة.[٣]"

ودليل ذلك – أيضًا– قوله ﷺ: "وماؤها شفاء للعين"؛ إذ لا يتأتى فيها الاحتفاظ بالماء إلا إذا كانت على هذا النحو من الاستدارة والاختفاء.

وتعريف المسند إليه "الكمأة" فيه نوع من تفخيم هذا المسند إليه وتعظيمه؛ ولذا قيل هي من المن الذي أنزل الله – تعالى– على بنى اسرائيل حقيقة؛ عملًا

١– صحيح البخاري: ٦/ ١٨، باب قول الله عز وجل: "وظللنا عليكم الغمام"، رقم الحديث: ٤٤٧٨، وصحيح مسلم: ٣/ ١٦١٩، باب فضل الكمأة، ومداواة العين بها، رقم الحديث: ٢٠٤٩.

٢– يقول تعالى:﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ "البقرة: ٥٧".

٣– راجع: لسان العرب: ١/ ١٤٩ "كمأ".

بظاهر اللفظ، أو هي تشبيه من حيث المعنى؛ حيث شبهها بالمن الذي كان ينزل على بني إسرائيل؛ لأنه كان يحصل لهم بلا كلفة ولا علاج، والكمأة تحصل بلا كلفة، ولا علاج، ولا زرع بزر، ولا سقي، ولا غيره.[1]

وتقديم المسند إليه للتشويق لما في هذا المسند إليه من نوع غرابة وغموض، وللدلالة على كثرة أنواع المن، وأن "الكمأة" تمثل واحدًا منها؛ ولذلك عبر بحرف الجر في قوله "الكمأة من المن"، وليست: "الكمأة منٌّ".

سادسًا: مقام نهي وبيان

ومن ذلك ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري، حيث أخبر أن وفد عبد القيس لما أتوا نبي الله ﷺ، قالوا: يا نبي الله، جعلنا الله فداءك ماذا يصلح لنا من الأشربة؟ فقال: "لا تشربوا في النقير"، قالوا: يا نبي الله، جعلنا الله فداءك، أو تدري ما النقير؟ قال: "نعم، الجذع ينقر وسطه، ولا في الدباء، ولا في الحنتمة، وعليكم بالموكى".[2]

والسؤال الذي في قوله "أو تدري ما النقير؟" إن كان سؤال تعجب واستغراب، فاستعمال هذه الألفاظ الغريبة جاء مطابقًا لمقتضى حال المخاطبين بها؛ حيث كانوا يميلون للتقعر واستعمال الغريب، فخاطبهم بما يعرفون وبه يتشدقون.

وبدأ بالنقير لأنه كان الأقل استعمالًا في بيئتهم، وأكثرها مشقة؛ لأنه يحتاج إلى جهد في نقره وصناعته، فالنقير أصل النخلة ينقر وسطه، ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء، فيصير نبيذًا مسكرًا، والنهي واقع على ما يعمل فيه لا على

١- راجع: شرح النووي على مسلم: ١٤/ ٤.

٢- صحيح مسلم: ١/ ٥٠، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، رقم الحديث: ١٨، وصحيح البخاري: ٤/ ١٧٨، باب قول الله عز وجل: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى..."، رقم الحديث: ٣٤٩٢.

اتخاذ النقير، فيكون على حذف المضاف تقديره: عن نبيذ النقير، وهو فعيل بمعنى مفعول.

وثنى بما يزيد عليه في كثرة الاستعمال، وسهولة الصناعة، وخفة المؤونة، وهو "الدباء"، وهي أوعية كانوا ينتبذون فيها وضربت، فكان النبيذ فيها يغلي سريعًا ويسكر، فنهاهم عن الانتباذ فيها، ثم رخص ﷺ في الانتباذ فيها بشرط أن يشربوا ما فيها وهو غير مسكر، وتحريم الانتباذ في هذه الظروف كان في صدر الإسلام.[١]

وختم بأكثرها استعمالًا وذيوعًا، وأعظمها سعة وامتلاءً "الحنتم"، وهي جرار خضر تضرب إلى الحمرة، كانت تصنع من طين وشعر ودم، معروفة لديهم، ومنه قول النُّعْمَان بْنِ عَدِيٍّ:

مَنْ مُبْلِغُ الحَسْناء أَنَّ حَليلَها بمَيْسانَ، يُسْقى مِنْ رُخامٍ وحَنْتَمِ

وكلمة "الموكى" التي أمرهم رسول الله ﷺ بها، وحثهم عليها، فيها مجاز مرسل بعلاقة المجاورة؛ لأن أصله الخيط الذي يربط به السقاء ويشد؛ للمبالغة في شدة الإحكام والربط، حتى كأن السقاء كله صار وكاءً، وهذا غاية الإحكام ونهاية الحرص.

وعطف هذه الأشياء على المنهي عنه بعد السؤال عنه؛ فيه نوع من التأكيد على علمه ﷺ بأحوال القوم، ومعرفته بوسائلهم، وطرق معيشتهم.

وبناء الكلام على هذا النحو بعد سؤالهم عن النقير، وإجابة النبي ﷺ عنه؛ شبيه بما يعرف في البلاغة بـ"أسلوب الحكيم"، حيث تلقى المخاطب بغير ما يترقب والسائل بالزيادة على ما سأل عنه، وهذا نوع من تقرير الحكم وتأكيده، وحث المخاطب على امتثاله وتنفيذه.

١- لسان العرب: ١٤/ ٢٤٩ "دبا".

سابعًا: مقام التحذير من إضاعة الصلاة

ومنه حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه–، قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: "هل رأى أحد منكم من رؤيا" قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: "إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فَيَثْلَغُ رَأْسَه، فَيَتَدَهْدَهُ الحجر.. فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بِكَلُّوبٍ من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فَيُشَرْشِرُ شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه..".[1]

فـ"الثلغ" – بهذا البناء الصوتي– يتناسب مع الرأس ومع الصخرة – أيضًا–؛ إذ هو ضرب الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشدخ.[2]

كما أن هذه الكلمة أعم دلالة من الهشم والشدخ؛ لاشتمالها على المعنيين معًا، وهكذا يكون الضرب بالصخرة يؤدي إلى الهشم والشدخ.

ويدل الفعل المضارع "يثلغ" على تجدد الفعل مرة بعد مرة وحالًا بعد حال، وفيها استحضار للصورة – أيضًا–؛ لأن الرؤيا وقعت وانتهت، فالنبي ﷺ يقصها عليهم.

وعطف الفعل بـ"الفاء" في "فيثلغ" للدلالة على اقتران الثلغ بالهوي ووقوعه في إثره من دون مهلة أو تراخ، وهذا تصوير لبشاعة المنظر وشناعته، وخطورة الأمر وعظمته.

١– صحيح البخاري: ٩/ ٤٤، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم الحديث: ٧٠٤٧.

٢– لسان العرب: ٨/ ٤٢٣ "شدخ".

واللفظة الأخرى الواردة في هذا الحديث هي "فيشرشر"، والشرشرة تتناسب مع الآلة المستخدمة لأنه قطع على غير نظام، والتفشي الموجود في صوت الشين يصور هذا الأمر، ويؤكد عليه.

والمقطع الصوتي "شر" يعضد من دلالة المضارع على تكرار الحدث ووقوعه مرة بعد مرة بعد مرة.

كما أنها لفظة عامة الدلالة، تجمع في دلالتها بين التشقيق والتقطيع، ولا شك في أن اجتماع الأمرين أبلغ وأقوى في تشويه المنظر وتقبيح الصورة، وتفظيع الأمر وتهويله؛ لتتعانق كل هذه الوسائل على تصوير المقام وتأكيد التحذير من ترك العمل بالقرآن وإضاعة الصلاة المكتوبة والكذب على الله.

ثامنًا: مقام تحريم الكهانة والتحذير منها

ومنه لفظة " فيَقُرُّها" الواردة في حديث عائشة – رضي الله عنها– قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكُهَّان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: "ليسوا بشيء" قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانًا الشيء يكون حقًا، قال رسول الله ﷺ: "تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني، فيَقُرُّها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة".[١]

و"القَرُّ" ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه، يقال: قَرَرْتُهُ فيه أَقُرُّهُ قَرًّا، وَقَرُّ الدجاجةِ صوتها إذا قطَّعَتْه، يقال: قَرَّتْ تَقُرُّ قَرًّا وَقَرِيرًا فإن ردَّدَتْه قلتُ: قرْقَرتْ قرقَرَةً.[٢]

فإيثار هذه الكلمة ببنيتها الصوتية – في هذا المقام– فيه دلالة على بالغ التمكن وقوة الإلقاء، كما أن التعبير بها يتواءم مع دلالة كلمة "الخطف"؛ لدلالتها

١– صحيح مسلم: ٤/ ١٧٥٠، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم الحديث: ٢٢٢٨، وصحيح البخاري: ٧/ ١٣٦، باب الكهانة، رقم الحديث: ٥٧٦٢.

٢– مقاييس اللغة: ٥/ ٧ "قرر"، ولسان العرب: ٥/ ٨٤ "قرر".

على أنه يلقيها مباشرة في أذن وليه وعلى وجه السرعة، ودون أن يحتفظ بها وقتًا، ودليل هذا من عطف الفعل نفسه بالفاء.

ثم إن مجيء هذه الكلمة أبلغ في ذلك المعنى من غيرها؛ لدلالتها على حرص الجني على تمكين الخبر في أذن صاحبه، وإلقائه بقوة، وأمارة هذا من التعبير بالمصدر المؤكد لعامله "قر الدجاجة"، والتعبير – أيضًا– بحرف الظرفية "في" الذي يوحي بالتمكن والاستقرار في الشيء.

وتشبيه هذا القر بـ"قر الدجاجة" علامة على تكرار الخبر مرة بعد مرة، ولعله يكون في أوقات مختلفة، فالجني يقذف الكلمة إلى وليه الكاهن، فتسمعها الشياطين كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحبها فتتجاوب، وهذا أدعى للتمكن وأقوى في الاستقرار والتعلق في ذهن وليه، كما لا يخفى.

وفيه وجه آخر وهي أن تكون الرواية "كقر الزجاجة"، تدل عليه رواية البخاري: "فيقرها في أذنه كما تقر القارورة"[1]، فذكر القارورة – في هذه الرواية– يدل على ثبوت الرواية بالزجاجة. قال القاضي: أما مسلم فلم تختلف الرواية فيه أنه الدجاجة بالدال، لكن رواية القارورة تصحح الزجاجة، قال القاضي: معناه يكون لما يلقيه إلى وليه حس كحس القارورة عند تحريكها مع اليد.[2]

تاسعًا: مقام تقرير حق الجار وأولويته بالشفعة

وردت هذه الصيغة في حديث سعد بن أبي وقاص أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "الجار أحق بسقبه"[3]، وروي –أيضًا– "الجار أحق بصقبه".[4]

١– صحيح البخاري: ٧/ ١٣٦، باب الكهانة، رقم الحديث: ٥٧٦٢.

٢– شرح النووي على مسلم: ١٤/ ٢٢٦.

٣– صحيح البخاري: ٣/ ٨٧، باب: عرض الشفعة على صاحبها قبل البيع، رقم الحديث: ٢٢٥٨.

٤– السابق نفسه: ٩/ ٢٧، باب: في الهبة والشفاعة، رقم الحديث: ٦٩٧٧.

والسقب والصقب: القرب والملاصقة، أي: أحق ببره ومعونته وعدم إساءته، والمراد به هنا الشفعة.

فالروايتان تتعانقان على تقرير حق الجار في الشفعة والتأكيد عليه؛ إلا أن رواية الصاد أقوى في هذا المعنى، وأدخل في الدلالة على شدة القرب؛ لما في الصاد من صفات الاستعلاء والإطباق.

واللفظة كناية عن أولوية الجار بحقه في الشفعة؛ إلا أن التعبير الكنائي أبلغ في الدلالة على هذا المعنى؛ لأنه كالدليل والبرهان بأحقيته في هذا الأمر، فهو كدعوى الشيء مصحوبًا بدليل صدقه وصحة برهانه؛ لدلالتها على شدة القرب والملاصقة، وهذا تأكيد للجوار وتقرير له، أما التعبير بلفظ "الشفعة" الصريح فليس فيه هذا المعنى، ولأنها أفصحت عن سبب الأحقية ومناطه.

وتقدير المفضل: "أحق به من غيره"، وإنما حذف للعلم به، ولقصد العموم والشمول – أيضًا.

وتعريف المسند إليه "الجار" لاستغراق جميع أجناس الجار، سواءً أكان مؤمنًا أم غير مؤمن، فالجوار ضرب من ضروب القرابة فهو قرب بالمكان والسكن، وقد يأنس الإنسان بجاره القريب أكثر مما يأنس بالنسيب، فيحسن أن يتعاون الجاران، ويكون بينهما الرحمة والمودة والإحسان، فإذا لم يحسن أحدهما إلى الآخر فلا خير فيهما لسائر الناس.

وتقديم المسند إليه يفيد التعظيم والتفخيم، وفيه نوع من التشويق – أيضًا، وقد حث الإسلام على الإحسان للجار – وإن كان على غير الإسلام– فقد عاد النبي ﷺ ابن جاره اليهودي، وذبح ابن عمر شاة فجعل يقول لغلامه: أهديت لجارنا اليهودي، أهديت لجارنا اليهودي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

وإنما آثر البيان النبوي كلمة "صقب" – دون كلمة "الشفعة"– لعمومية الدلالة في هذه اللفظة، فيشمل ذلك جميع حقوق الجار التي أمر بها الإسلام

وحث عليها– ومنها حق الشفعة– ولو عبر بلفظ "الشفعة" لفاتت كل هذه الدلالات، كما أن دلالة عموميتها في اشتمالها على القريب والبعيد.

ولزيادة تقرير حق الجار وعدم التفريط فيه في وقت من الأوقات بنيت الجملة على الاسمية؛ للتأكيد على ثبوت هذا الحق ودوامه، وعدم تخلفه في حال من الأحوال، ولا في زمان من الأزمان.

وجاءت صياغة الجملة خالية من التوكيد والاحتفال للدلالة على أن حق الجار ظاهر معلوم، لا يجهله أحد، ومما لا ينازع فيه بحال؛ ولذلك تجدها تنفذ إلى القلوب نفاذًا ربما لم يتهيأ لها إذا كانت في أسلوب التوكيد والتقرير.

ثم إن الجملة من جوامع كلمه ﷺ حيث تكاثرت معانيها وقلت ألفاظها، فاشتملت على حق الجار في الشفعة – وهو الغرض الرئيس الذي سيق الكلام من أجله– كما تضمنت – أيضًا– حقه في البر والإحسان وحسن الجوار، وغير ذلك مما يندرج تحت حقوق الجار.

عاشرًا: مقام تصوير صفة الوحي في الشدة والثقل

روي عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– أنه سمع النبي ﷺ يقول: "..ثم فتر عني الوحي فترة، فبينا أنا أمشي، سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه، حتى هويت إلى الأرض.."[1]، ورواية مسلم: "فجئثت منه فرقًا حتى هويت إلى الأرض".[2]

١– صحيح البخاري: ٤/ ١١٦، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم الحديث: ٣٢٣٨.

٢– صحيح مسلم: ١/ ١٤٣، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: ١٦١.

(فجئثت) أي: فزعت ورعبت، وكذا جئثت، قال الخليل والكسائي: جئث وجث فهو مجئوث ومجثوث، أي: مذعور فزع[١]؛ إلا أن جئثت أدخل في تصوير شدة السقوط والوقوع من جثثت؛ لقوة الهمزة عن الثاء، فصوت الهمزة أثقل الحروف خروجًا؛ لأن مخرجه أقصى الحلق – وهو أبعد المخارج السبعة عشر– فهو أبعد ما يكون عن منتهى الكلام "وهو الفم"، بالإضافة إلى ما فيها من انقطاع صوت وانقطاع نفس عند نطقها والتلفظ بها.

فكلمة "جئثت" – بما فيها من ثقل في النطق– تناسب المقام وتصوره أبلغ تصوير؛ لقوة ما لحقه ﷺ من هول الأمر وثقله، وشدة صعوبته، وما أصابه من مشقة وبلاء، وكرب وفزع؛ لمّا سمع صوتًا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقف ينظر إليه، فما تقدم وما تأخر، وجعل يصرف وجهه في ناحية آفاق السماء، فلا ينظر في ناحية منها إلا رآه كذلك.

ثم إن هذه الكلمة توحي – بدلالتها– على السقوط، وهذا دليل على أن الخوف والهلع والفزع قد بلغ مداه، ووصل إلى منتهاه، وليس كذلك كلمة "فزع"، أو "رعب".

وتقييد الجملة بالتمييز "فرقًا" فيه نوع من تقرير المعنى وتأكيده، كما أن فيه نوع احتراس لدفع توهم غير المراد؛ كأن يكون السقوط من علة أو من أي شيء آخر.

وهذه الكلمة تتناسب في غرابتها مع غرابة الموقف وصعوبته؛ حيث كانت تلك الحادثة هي المرة الأولى التي يرى فيها النبي ﷺ أمين وحي السماء؛ فلذلك أصابه ما أصابه.

١– كتاب العين: ٦/ ١٢ وما بعدها، باب الجيم مع الثاء.

وتدل الفاء على سرعة ذعره ﷺ وخوفه لما انتابه وهيمن عليه من عنصر المفاجأة والمباغتة من رؤية الملك؛ ولا غرو في ذلك فالموقف عظيم والخطب جلل، فحق له أن يرجف فؤاده، ويصيبه الروع، ويخشى على نفسه، ويهرع إلى خديجة – رضي الله عنها– تزمله حتى يذهب عنه الروع.

ثم إن صوت الهمزة قد يوحي إلى أن الملك قصد إلى إفزاعه وإخافته؛ بدليل قوله: "فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني.."، وأنه نزل على هيئته الحقيقية، وليس في جثثت كل هذه المعاني.

فكأن الملك قصد إفزاعه وإسقاطه حتى ينبهه لخطورة الأمر وشدته، ومنزلة الرسالة وثقل وطأتها، وأنه لا ينبغي له التهاون فيها أو التراخي في إبلاغها، وأن عليه أن يأخذ الأمر على محمل الجد؛ ويؤيد هذا المعنى ما ورد في مطلع سورة المدثر، يقول تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ ..الآيات. "المدثر: ١–٣".

حادي عشر: مقام حسن المعاشرة مع الأهل

وينتظم في هذا المقام عدة ألفاظ وردن في حديث أم زرع الذي روته عائشة – رضي الله عنها– قالت: "جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا.. قالت السابعة: زوجي غياياء – أو عياياء– طباقاء، كل داء له داء، شجَّك أو فلَّك أو جمع كلًا لك.. قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع، أناسَ من حُلِي أُذُنَيَّ، وملأ من شحم عضدي، وبجَّحَني فبجِحَتْ إليَّ نفسي، وجدني في أهل غنيمة بِشِقٍّ، فجعلني في أهل صهيل وأطيط، ودائِسٍ ومُنَقٍ، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنَّح.. جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع، لا تبث حديثنا تبثيثًا.".[1]

١– صحيح البخاري: ٧/ ٢٧، باب حسن المعاشرة مع الأهل، رقم الحديث:٥١٨٩، وصحيح مسلم: ٤/ ١٨٩٦، باب ذكر حديث أم زرع، رقم الحديث: ٢٤٤٨، وبجَّحَني: فرَّحني ففرِحت، ووجدني في أهل غنيمة بشق: أرادت أن أهلها كانوا أصحاب غنم لا أصحاب =

وأول تلك الألفاظ كلمة "أتقنَّح"، ورويت هذه اللفظة بالميم مكان النون "فأتقمَّح"، وقد تعانقت الصيغتان – من وجه– على تصوير شدة الري وعظيم الامتلاء؛ فمعنى اللفظة على رواية الميم: أروى حتى أدع الشراب من شدة الري، ومنه قمح البعير يقمح إذا رفع رأسه من الماء بعد الري، ولم تقل هذا إلا لعزة الماء عندهم، ومن رواها بالنون فمعناها: أقطع الشرب وأتمهل فيه، وقيل هو الشرب بعد الري، قال أصحاب المعاجم: قنحت الإبل إذا تكارهت، وتقنحته أيضًا.[١]

وتشير الصيغتان – من وجه آخر– على تنعم هذه المرأة وترفها، وشدة دلالها ودلهها، وقوة مكانتها في قلب زوجها، فقد بات فيها أخا صبابة؛ لدلالة حديث الشرب – أصلًا– على قلة الماء وندرته وعزته عندهم؛ حتى صار الشرب لمرحلة الري والامتلاء مما يفاخر به عندهم.

وصيغة المضارع فيها دلالة على تجدد الري والامتلاء مرة بعد مرة؛ فهذه المرأة تشرب على مهل – لكثرة الماء– لأنها كانت آمنة من قلته، فلا تبادر إليه مخافة عجزه، كما أن في تلك الصيغة استحضارًا للمشهد – أيضًا.

=

خيل وإبل؛ لأن الصهيل أصوات الخيل والأطيط أصوات الإبل وحنينها والعرب لا تعتد بأصحاب الغنم وإنما يعتدون بأهل الخيل والإبل، وبشق –بكسر الشين وفتحها– وهو موضع، والدائس هو الذي يدوس الزرع في بيدره، يقال داس الطعام درسه، ومنق من نقي الطعام ينقيه، أي: يخرجه من تبنه وقشوره، والمقصود أنه صاحب زرع يدوسه وينقيه، وقوله "فعنده أقوال فلا أقبح" معناه لا يقبح قولي فيرد بل يقبل قولي، ومعنى أتصبح أنام الصبحة وهي بعد الصباح، أي أن لها من يخدمها فتنام.

١– راجع: مقاييس اللغة: ٥/ ٣١ "قنح"، ولسان العرب: ٢/ ٥٦٧ "قنح".

ثم إن تضعيف عين الفعل "النون والميم" يشير إلى الكثرة، وهذا يستلزم التقرير والتأكيد على معنى الري والامتلاء؛ كما لا يخفى.

والمتأمل في قوله "غياياء" و"عياياء" يجد أن الكلمتين قد تعانقتا على تصوير سوء طباع زوجها وقبح أخلاقه، فـ"الغياياء" هو الذي لا يهتدي إلى مسلك ينفذ فيه، ويجوز أن تكون قد وصفته بثقل الروح، وأنه كالظل المتكاثف المظلم الذي لا إشراق فيه. وغايا القوم فوق رأس فلان بالسيف: كأنهم أظلوه به، وكل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل: السحابة والغبرة والظلمة ونحوه، فهو غياية.[1]

ولعل التعبير بهذه اللفظة فيه كناية عن ضعف الرأي، وقلة التفكير، ووهن العقل الذي لا يتبين أمره، أو بسبب انهماكه في الشر، وهذا وصم له، وكناية عن جهله، وقلة علمه، وبطء فهمه، كما لا يخفى.

وقد تكون هذه اللفظة مأخوذة من الغي الذي هو الخيبة والخسران والهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ "مريم: ٥٩"

والكلمة التالية هي "عياياء"، ورجلٌ عَيايَاءُ: عَيِيٌّ بالأمور، وهو الذي يأتي بشيءٍ لا يُهْتَدَى له، وقد عَايَاهُ وعَيَّاه تَعْيِيَةً، فالتعبير بهذه اللفظة للإشارة إلى ضعف قوته، وقلة حيلته، وشدة عجزه.

وربما كنَّتْ بهذا التعبير عن ضعفه في الجماع، وعدم قدرته على إتيان النساء، ومنه "فحل عياء: لا يهتدي للضراب، وقيل: هو الذي لم يضرب ناقة قط، وكذلك الرجل الذي لا يضرب، والجمع أعياء"[2]، فـ"العياياء": العنين الذي تعييه مباضعة النساء.

١- راجع: لسان العرب: ١٥/ ١٤٤ "غوي".

٢- لسان العرب: ١٥/ ١٢٢ "عيي".

والألف الممدودة في الكلمتين تفيد المبالغة في هذين الوصفين، وأن هذا الرجل بلغ في الغي والعي الغاية، وأربى على النهاية، ويؤيد ذلك الوصف الذي أتبع هذين الكلمتين "طباقاء" وهو المطبقة عليه أموره حمقًا، وقيل الذي يعجز عن الكلام فتنطبق شفتاه.

ووردت اللفظة التالية في قوله "لا تبث حديثنا تبثيثا"، وروي "لا تنث" – بالنون بدلًا من الباء– والرواية الأولى أشهر وأقوى لدلالتها على العموم، فيشمل كل سر وكل حديث، خاصًا كان أو عامًا.

فهذه الكلمة أبلغ من أختها لأنها أمدح، ولدلالتها على عموم الكتمان وعدم البث، فيشمل الخير والشر، والخاص والعام، والخفي والجلي، فجارية أبي زرع لا تفشي أسرارهم، ولا تطلع الناس على خفي أحوالهم.

أما رواية "نثَّ" فلا ترقى لقوة الأولى، وإن اتسمت بالمبالغة في المدح – أيضًا– لدلالتها على خصوص الكتمان وعدم إفشاء ما يكون من شر الحديث خاصة؛ ولهذا قيل إن هذه الكلمة مختصة بنشر الحديث الذي كتمه أحق من نشره.[١]

وإتباع الفعل بالمصدر من كلتا المادتين – هنا– لتأكيد الفعل المنفي من مادته وتثبيته وتمكينه وتقريره.

والنث مستعار في هذا المقام لتصفية الكلام وترويقه على التشبيه بترشيح الزق أو السقاء، يقول ابن منظور: "نث الزق ينث، بالكسر، نثيثا ونثا: إذا رشح بما فيه من السمن".[٢]

١– تاج العروس: ٨/ ٤٥ "نثَّ".

٢– لسان العرب: ٢/ ١٩٤ "نثَّ".

ثاني عشر: مقام التحذير من التسمي بملك الأملاك

ومن الدلالة الصوتية ما ورد في حديث أبي هريرة – الذي رواه البخاري– قال: قال رسول الله ﷺ: "أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك"[1]، وفي رواية مسلم: "إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك".[2]

واللفظة التي وردت عند مسلم "أخنع" فيها دلالة على ظهور فجوره وخبثه، وجلاء قبحه وفحشه، وتقرير ذله وخنوعه؛ إذ الأخنع: الأوضع، والخانع الذليل من خنع الرجل: إذا ذل، وإليه يَخْنَع خُنوعًا: ضَرَع إليه وخَضَع، وطلب إليه، وليس بأهل أَن يُطْلَب إليه.[3]

أما ما ورد في رواية البخاري "أخنى"؛ فإنها وإن كانت قريبة الدلالة منها، إلا أنها ليس لها قوة "أخنع" في ظهور الدلالة وشدة الجرس؛ فالأخنى – كما ذكر ابن منظور– أفعل، من الخَنَى – بفتحتين مقصورًا– وهو الفحش في القول[4]، وكل فحش قبيح، وكل قبيح مبغوض.

فـ"أخنع" أوسع دلالة من "أخنى" لما فيها من معنى الذل والوضاعة والانكسار؛ فكأن المسمى بهذه الأسماء يعاقب بضد مقصوده، فقد طلب بها الاستعلاء والتكبر والتجبر، والاستطالة على الناس والطغيان، فكان جزاؤه أن مالت دعائم عزه، وتهاوت سرادق مجده، وتمعك في حمأة الهوان.

والإضافة في كلتا الروايتين إضافة تحقير وتهوين وتقبيح، وفيها إيحاء بلزوم هذا الوصف بمن تسمّى بهذه الأسماء.

١– صحيح البخاري: ٨/ ٤٥، باب أبغض الأسماء إلى الله، رقم الحديث: ٦٢٠٥.

٢– صحيح مسلم: ٣/ ١٦٨٨، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك، رقم الحديث: ٢١٤٣.

٣– راجع: لسان العرب: ٨/ ٧٩ "خنع".

٤–راجع: السابق نفسه: ١٤/ ٢٤٤ "خنى".

وفي هذه القيود المتعلقة بالمسند إليه – "يوم القيامة عند الله"– زيادة تقرير وتوكيد وشدة إيضاح وبيان للمسند إليه، وفيها – أيضًا– زيادة تشويق للخبر.

والتنكير في قوله "رجل" يفيد التحقير والتبشيع من حاله للتحذير بالابتعاد عن هذا الرجل، فمن ذا الذي يرتضي أن يسمى ملك الأملاك، حتى يتصف بصفات الذل والخضوع والوضاعة والفحش؟!

وتقييد المسند بقوله "تسمّى ملك الأملاك" للكشف والبيان، وإيضاح المسند وتخصيصه.

ومجيء الكلام خاليًا من التوكيد لأنه من الظاهر المعلوم الذي لا يشك فيه ولا يجحد ولا ينكر، أو باعتبار أن المخاطبين بهذا الكلام مؤمنون ومقرون ومعترفون، فخلا الكلام من التأكيد اعتبارًا لهذه الحالة القائمة.

ثالث عشر: مقام بيان الرضاعة التي تثبت بها الحرمة

ومن الغريب على المستوى الصوتي – أيضًا– كلمة "المجاعة" الواردة في حديث عائشة – رضي الله عنها–، قالت: دخل علي النبي ﷺ وعندي رجل، قال: "يا عائشة من هذا؟"، قلت: أخي من الرضاعة، قال: "يا عائشة، انظرن من إخوانكن، فإنما الرضاعة من المجاعة".[١]

وإنما عدت لفظة "المجاعة" – في هذا المقام– من الغريب؛ لأن المراد بها الرضاعة التي تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة، وهي حيث يكون الرضيع طفلًا، يسد اللبن جوعته؛ لأن معدته ضعيفة يكفيها اللبن، وينبت بذلك لحمه،

١– صحيح البخاري: ٣/ ١٧٠، باب "الشهادة على الأنساب"، والرضاع المستفيض، والموت القديم، رقم الحديث:٢٦٧٤، وصحيح مسلم: ٢/ ١٠٧٨، باب "إنما الرضاعة من المجاعة"، رقم الحديث: ١٤٥٥.

فيصير كجزء من المرضعة، فيشترك في الحرمة مع أولادها، فكأنه قال: لا رضاعة معتبرة إلا المغنية عن المجاعة أو المطعمة من المجاعة.[1]

والتلوين الصوتي في كلمتي "الرضاعة" و"المجاعة" ناشئ من السجع لاتحاد الوزن والقافية"، وهو من أحسن السجع الذي تساوت قرائنه، وهذا أحدث نوعًا من التنغيم والإيقاع المثير الذي يجذب الأذهان، ويوقظ الأفهام نحو المعنى المراد، وهذا يصل بالمتلقي في النهاية إلى تقرير المعنى وتأكيده، والتسليم به والإذعان له.

وأسلوب القصر – هنا– أضاف بعدًا آخر للمعنى من حيث تقريره وتوكيده؛ لأن جملة القصر – كما هو معلوم– في قوة جملتين: إحداهما مثبتة، والأخرى منفية ضمنًا.

وكان لإيثار التعبير بأداة القصر "إنما" – دون غيرها– ملمح بلاغي آخر من حيث دلالتها في المعنى؛ إذ تستخدم في الأمر الظاهر المعلوم الذي لا يجهله المخاطب، أو لما ينزل هذه المنزلة[2]، وكأن الرضاعة التي تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة، حيث يكون الرضيع طفلًا مما يسد جوعته؛ أمر لا يجهله أحد، أو يتشكك فيه، أو ينكره.

١– راجع: فتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٤٨.

٢– راجع: دلائل الإعجاز: ٣٥١.

رابع عشر: مقام الرُّقَى والتعويذ

ومن غريب المستوى الصوتي ما ورد في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما–، قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: "إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامّة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة".[١]

فقد اتفقت الكلمات الثلاث في عدد الحروف وهيئتها وترتيبها، واختلفت في حرف واحد في أولها، وقد نشأ هذا التناسب الصوتي بين الكلمات الثلاث على طريقة الجناس غير التام، وهو من اللاحق لبعد الحروف في المخرج[٢]، وهذا الاتفاق أضفى على الإيقاع جرسًا أخاذًا، وجاذبية مؤثرة، كان لها أثر بالغ في علوق اللفظ والمعنى في الذهن، واستقرارهما في القلب.

والمراد بـ"كلمات الله التامة": الكاملة، النافعة، الشافية، المباركة، القاضية التي تمضي وتستمر، ولا يردها شيء، ولا يدخلها نقص ولا عيب، فهي التام فضلها والكامل بركاتها.

و"الهامّة" – بتشديد الميم– واحدة الهوام ، والهوام: الحيات، وكل ذي سم يقتل سمه، وأما ما لا يقتل ويسم فهو السوامّ، مشددة الميم، لأنها تسم ولا تبلغ أن تقتل، مثل: الزنبور والعقرب وأشباهه، وتقع الهامة على غير ذوات السم القاتل، فلعل المراد كل نسمة تهم بسوء.[٣]

١– صحيح البخاري: ٤/ ١٤٧، باب قول الله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، رقم الحديث: ٣٣٧١.

٢– راجع: مفتاح العلوم: ٤٢٩، والإيضاح وبهامشه بغية الإيضاح: ٤/ ٦٤٥، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٢/ ٢٨٩.

٣– لسان العرب: ١٢/ ٦٢١ "همم".

و"العين اللامّة" هي التي تصيب بسوء، وقيل: اللامّة الملمّة، وإنما أتى بها على فاعلة للمشاكلة اللفظية لإقامة الوزن، ويجوز أن تكون على ظاهرها بمعنى: جامعة للشر على المعيون، من لمّه إذا جمعه، وأصلها من ألممت إلمامًا بالشيء: نزلت به، ولم يقل: ملمة، كأنه أراد بها ذات لمم، واللامّة: ذات اللمم، وهي كل داء مر، وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل ونحوه، أو هي كل عين تصيب الإنسان إذا حلت به.[1]

فالتعبير بهذه الألفاظ دليل على أنه ﷺ كان يكثر التعويذ والالتجاء إلى الله – تعالى– لحفظ الحسنين من كل آفة أو شر قد يصيبهما، من شياطين الإنس والجن.

١– راجع: عمدة القاري: ١٥/ ٢٦٨.

المبحث الثالث: الغريب على المستوى الصرفي:

يعد الصرف ركيزة أساسية وبنية أصيلة من مكونات النظام اللغوي، وهو في صميم المباحث اللغوية الهادية إلى السلوك اللغوي الصحيح، مع أنه لم يحظ بما حظي به صنوه "الدرس النحوي"، لأسباب كثيرة يضيق المقام عن ذكرها وتفصيلها، وهي مدونة في كثير من الكتب التي اهتمت بهذا العلم، وجعلته قبلتها ومقصدها.

ويقصد بالدلالة الصرفية الوظائف الصرفية للكلمة، وهي المعاني المستنبطة من الأوزان والصيغ المجردة، ويتوقف معرفة المعنى المحدد لكثير من الألفاظ على بنيتها الصرفية، وصيغتها التي ترد عليها، وفق القوانين المعتمدة لدى أرباب هذا العلم والباحثين فيه.

فالصيغ الصرفية من أبرز الضوابط التي اعتمد عليها للتمييز بين المعاني، رفعًا للبس، وأمنًا للخلط في الفهم، عن طريق القرائن الصرفية، كالحركات، والحروف، ومباني التقسيم، ومباني التصريف.

وفي هذا الفصل سيتناول البحث تلك الألفاظ الغريبة التي يمكن أن تنضوي تحت هذا المستوى، مراعيًا في ترتيبها المقامات المختلفة التي وردت فيها هذه الألفاظ وانتظمتها، وذلك في اثني عشر مقامًا، وكان ترتيبها على النحو الآتي:

أولًا: مقام ثبوت الشفاعة وإثبات رؤية المؤمنين لربهم

ونجد في هذا المقام ثلاثة ألفاظٍ، وهي: "امتحشوا" و"حميل" و"قشبني" من الحديث الطويل الذي رواه أبو هريرة، حيث "أخبر أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب" قالوا: لا يا رسول الله.. حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة: أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن

آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار، قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة، مقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار.."[1].

فلفظة "امْتَحَشُوا" – بزنة افتعلوا– أبلغ في تصوير عظيم المنة والنعمة، وبالغ الكرم والعطاء في نجاة عصاة المؤمنين وإخراجهم من النار بسبب الشفاعة؛ لدلالة هذه اللفظة على غاية سوء حالهم وفساد مقامهم قبل إخراجهم من النار.

فـ"الامتحاش" هو شدة احتراق مع ذهاب الجلد وظهور العظم. يقول أحمد بن فارس: "الميم والحاء والشين أصل صحيح يدل على إحراق النار شيئًا حتى ينسحج جلده. يقال: محشت النار الشيء تمحشه، وامتحش الخبز: احترق"[2]، ففيها نوع من المبالغة في شدة الإحراق وزوال الجلد، كما لا يخفى.

وتشير هذه اللفظة الغريبة – أيضًا– إلى انقباض أجساد هؤلاء العصاة وهزالها، واسوداد وجوههم وأجسادهم، فقد انخلعت قلوبهم، واضطربت حواسهم، واقشعرت جلودهم من هول ما رأوه، وهذا يصور لنا ذلك البون الشاسع والهوة العميقة بين ما انغمسوا فيه من عذاب أليم وما ينتظرهم من نعيم مقيم، حيث

١– صحيح البخاري: ١/ ١٦٠، باب فضل السجود، رقم الحديث: ٨٠٦، وصحيح مسلم: ١/ ١٦٣، باب معرفة طريق الرؤية، رقم الحديث: ١٨٢.

٢– فتح الباري لابن حجر: ١١/ ٤٥٧.

"يلقون في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، وفي تسمية ذلك النهر به إشارة إلى أنهم لا يحصل لهم الفناء بعد ذلك".[١]

واللفظة الأخرى هي "حميل" – على زنة فعيل– من قوله ﷺ: "فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل"، و"حميل السيل" ما جاء به السيل من طين أو غثاء، ومعناه محمول السيل.

وإيثار هذه الكلمة على هذا الوزن يصور عظيم الأثر لماء الحياة الذي يصب عليهم وغاية فاعليته، وصيغة فعيل فيها مبالغة في تأكيد معنى الكثرة والزيادة، فالغثاء الذي يجيء به السيل يكون فيه الحبة، فيقع في جانب الوادي، فتصبح من يومها نابتة، وهذه اللفظة فيها دلالة – أيضًا– على غمر الماء إياهم وإحاطته بهم؛ وهذا من كثرته ووفرته.

ونلحظ أن الإنبات قد استعير لإعادة بناء أجسادهم وأعضائهم مرة أخرى بإنبات الحبة مع السيل في البراري وجوانب السيول، والوجه الجامع هو سرعة النبات وحسنه وطراوته في كلٍ.

وأوثر التعبير بفعل "الإنبات" دون "الإنشاء"؛ لشدة الوشيجة، وبالغ القربى بين إنشاء الإنسان وإنبات النبات، فكلا الأمرين تكوين، ويؤيد ذلك قوله تعالى:﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾"آل عمران: ٣٧"، أي: أنشأها، ويقوي وجه الشبه – هنا– صلة أن إنشاء الإنسان مركب من عناصر الأرض، وهذا ما أيدته الدرسات الحديثة وأقرته.

والصورة فيها إيحاء بسرعة تبدل حالهم من حال إلى حال أخرى مغايرة؛ لأن ما يجيء به السيل، إذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل؛

١– مقاييس اللغة: ٥/ ٢٩٩.

فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

والمشبه به يوحي – مع سرعة نباتها– بشيء آخر وهو ضعف تلك الحبة؛ حيث تخرج – لضعفها– صفراء ملتوية ثم تشتد قوتهم بعد ذلك، ويصيرون إلى منازلهم وتكمل أحوالهم، وهذا من عظيم منته عليهم سبحانه.

وثالثة الألفاظ هي "قشبني"، وقشبه الدخان: إذا ملأ خياشيمه وأخذ يكظمه، وأصل القشب: خلط السم بالطعام، يقال: قشبه إذا سمه، ثم استعمل فيما إذا بلغ الدخان والرائحة الطيبة منه غايته، وقال النووي "معنى قشبني: سمني وآذاني وأهلكني".[1]

فهذه اللفظة أبلغ في تصوير سوء حال هؤلاء العصاة؛ لأنها لفظة جامعة لكل ما يؤذي ويسوء؛ ومع أن هذا العاصي قد أساء صنعًا، وجاء أمرًا إدًّا؛ إلا أنه – سبحانه– قد تجافى عن قبيح أفعاله، وغفر جميع سيئاته، كما ورد في الحديث.

ثانيًا: مقام النهي عن اشتمال الصماء والاحتباء في ثوب واحد

ومن الغريب في المستوى الصرفي كلمة "اشتمال الصَّمَّاء" الواردة في حديث أبي سعيد الخدري، أنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن اشتمال الصَّمَّاء، وأن يحتبي الرجل في ثوب واحد، ليس على فرجه منه شيء".[2]

و"اشتمال الصماء" هو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل به جسده، لا يرفع منه جانبًا، فلا يبقى ما يخرج منه يده، وسميت صمّاء لأنه سدَّ المنافذَ كلها، كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع، وأما الفقهاء فيقولون: هو أن

١– شرح النووي على مسلم: ٣/ ٢٣.

٢– صحيح البخاري: ١/ ٨٢، باب ما يستر من العورة، رقم الحديث: ٣٦٧، وصحيح مسلم: ٣/ ١٦٦١، باب اشتمال الصماء والاحتباء في ثوب واحد، رقم الحديث: ١٠٦٤.

يشتمل بثوب ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه، فيضعه على أحد منكبيه.[١]

فهذه الكلمة فيها شدة تنفير وعظيم تحذير من تلك الهيئة، والنهي عنها بإخراج الكلام مخرج الاستعارة؛ حيث شبهت هذه الهيئة بهيئة الصخرة الصماء التي لا منافذ فيها، وليس فيها خرق ولا صدع.

وإخراج الكلام هذا المخرج أوفق بمقتضى حال المخاطبين من العرب، فقد كانت هذه عادة متأصلة فيهم، نشّئوا عليها واعتادوها؛ فاقتضى اقتلاع هذه العادة والكف عنها أسلوبًا قويًا ونغمًا أخّاذًا، يفي بهذا الغرض، ويحقق المطلوب.

ثم إن الإضافة في قوله "اشتمال الصماء" فيها نوع من المبالغة؛ لدلالتها على أن المضاف والمضاف إليه صارا كالشيء الواحد، الذي لا انفصال فيه، ولا تمييز بين أجزائه؛ ولذلك فإن الاشتمال المذكور مكروه لئلا تعرض له حاجة – من دفع بعض الهوام ونحوها، أو غير ذلك– فيعسر عليه أو يتعذر، فيلحقه الضرر والأذى.

والنهي – هنا– خرج في صورة الخبر للدلالة على فرط الاهتمام بحصول الخبر؛ حتى كأن المخاطبين قد امتثلوا النهي، وابتعدوا عن المحظور منذ زمن، وهذه وسيلة من وسائل الإقناع، وخصيصة من خصائص البيان النبوي الشريف.

ومن وجه آخر فإن الكلام قد خرج في صورة الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال؛ لما تعلق بالمنهي عنه من غرابة وعدم وضوح، فجاءت جملة "وأن يحتبي الرجل في ثوب واحد.." لإيضاح المبهم الغامض وتفصيل إجماله؛ وهذا أدعى لتوكيد المعنى وتقريره؛ لأن غرض المعنى في هذه الصورة بمنزلة التكرار، فكأنه نهى عن الفعل مرتين أو أكثر.

١– راجع: شرح النووي على مسلم: ١٤/ ٧٦.

ولا يخفى أن الحديث فيه حث على ستر العورة والتحلي بالحياء، والبعد عن العادات الذميمة، وهذا جوهر ما حث عليه الإسلام وأمر به، ودعا أتباعه للعمل به، والمحافظة عليه، والدعوة إليه – أيضًا.

ثالثًا: مقام بيان تحريم إيذاء الجار

ومن الغرابة في المستوى الصرفي لفظة "بوائقه" الواردة في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–، أن رسول الله ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه".[1]

وهذه اللفظة بصيغة "فواعل" أبلغ في مقام نفي الإيمان عن الذي يؤذي جيرانه، ولا يحسن إليهم؛ لدلالتها على نهاية الشر وقوة الإيذاء وحصوله – بسبب أو من دون سبب– أو حصوله من غير توقع؛ فإن البوائق هي الدواهي العظيمة، والمصائب الشديدة التي تصيب الإنسان فجأة.

ونقل صاحب لسان العرب عن الكسائي وغيره: بوائقه غوائله وشره أو ظلمه وغشمه، ويقال للداهية والبلية تنزل بالقوم: أصابتهم بائقة.[2]

والبوائق على وزن فواعل – جمع كثرة– ففيها دلالة على كثرتها وتناميها في الشر والفساد، والعظم والبلاء؛ ولذلك كان الجزاء من جنس العمل، فلا يجازى مجازاة المؤمن بدخول الجنة من أول وهلة، بل يؤخر عنها.

١– صحيح مسلم: ١/ ٦٨، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم الحديث: ٤٦، وعند البخاري من حديث أبي شريح، أن النبي ﷺ قال: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن" قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوايقه". صحيح البخاري: ٨/ ١٠، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه، رقم الحديث: ٦٠١٦.

٢– لسان العرب: ١٠/ ٣٠ "بوق".

ولا يخفى ما في هذه المفردة الغريبة من إيحاء بالزجر والتغليظ لمن يفعل تلك الفعلة الشنعاء، والجريرة النكراء التي تكون حاجزًا منيعًا، وسببًا قويًا في دخوله الجنة مع الفائزين من المؤمنين الذين سبقوا إليها، وتنعموا بها.

رابعًا: مقام وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض

ونطالع في هذا المقام لفظتي "عَقْرَى حَلْقَى" الواردتين في حديث عائشة – رضي الله عنها–، خرجنا مع النبي ﷺ ولا نرى إلا أنه الحج، فلما قدمنا تطوفنا بالبيت، فأمر النبي ﷺ من لم يكن ساق الهدي أن يحل، فحل من لم يكن ساق الهدي، ونساؤه لم يسقن فأحللن..، قالت صفية: ما أراني إلا حابستهم، قال: "عَقْرَى حَلْقَى، أو ما طفت يوم النحر" قالت: قلت: بلى، قال: "لا بأس انفري".." .[1]

ومعنى "عَقْرَى حَلْقَى" عقر الله جسدها وأصابها بوجع في حلقها، وهذا على مذهب العرب في الدعاء على الشيء من غير إرادة وقوعه، فعقرى ها هنا على هذه الصيغة الصرفية مصدر كدعوى، وقيل: معناه تعقر قومها، وتحلقهم بشؤمها، وقيل: العقرى الحائض، وقيل عقرى حلقى أي: عقرها الله وحلقها.

وقيل معناه: جعلها الله عاقرًا لا تلد وحلقى مشؤمة على أهلها، وعلى كل قول فهي كلمة كان أصلها ما ذكرناه، ثم اتسعت العرب فيها، فصارت تطلقها ولا تريد حقيقة ما وضعت له أولًا، ونظيره تربت يداه، وقاتله الله ما أشجعه، وما أشعره، والله أعلم.[2]

١– صحيح البخاري: ٢/ ١٤١، باب التمتع والإقران والإفراد بالحج، وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي، رقم الحديث: ١٥٦١، وصحيح مسلم: ٢/ ٨٧٧، باب بيان وجوه الإحرام..، رقم الحديث: ١٢١١.

٢– راجع: شرح النووي على مسلم: ٨/ ١٥٢، ولسان العرب: ٤/ ٥٩٤ (عقر).

وإنما عبر بصيغة المصدر – هنا– للمبالغة في وقوع الحدث؛ كأنها صارت نفس العقر والحلق مبالغة في ذلك؛ فصفية أم المؤمنين – رضي الله عنها– حاضت قبل طواف الوداع، فلما أراد النبي ﷺ الرجوع إلى المدينة قالت: ما أظنني إلا حابستكم؛ لانتظار طهرها، وطوافها للوداع، فإنها لم تطف للوداع، وقد حاضت، ولا يمكنها الطواف الآن، وظنت أن طواف الوداع لا يسقط عن الحائض، فبين لها ﷺ أن طواف الإفاضة هو الطواف الذي هو ركن، ولا بد لكل أحد منه، وأما طواف الوداع فلا يجب على الحائض.

وامتداد النفس بصوت الألف المقصورة في قوله "عَقْرَى حَلْقَى" فيه تأكيد على الحدث وتبيين له، وإطلاق المصدر عن القيود يشي بنوع من المداعبة والملاطفة، وفيه – أيضًا– نوع من التحاشي والاحتراز عن إيقاع لفظ "العقر والحلق" عليها نصًا وصراحة.

وإنما بالغ النبي ﷺ في الدعاء دون إرادة الفعل لأن صفية أم المؤمنين – رضي الله عنها– تسببت في حبس القوم وتأخيرهم عن الرجوع إلى المدينة فور انتهاء أعمال الحج.

والحذف – هنا– لتكثير الفائدة من الكلام؛ إذ يجوز أن يكون المحذوف هو المسند إليه، ويجوز أن يكون المحذوف هو المسند، وتقدير الكلام – كما لا يخفى– "هي عقرى حلقى"، أو "عقرى حلقى عاقبتها"؛ فالكلام الذي يحتمل وجهين يكون أغزر معنى و أوفر دلالة –كما قرر البلاغيون–، وكثرة التأويلات من سمات الكلام العالي.

خامسًا: مقام تغليظ حرمة النميمة

ومما ورد في هذا المقام الحديث الذي رواه حذيفة – رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يدخل الجنة قتَّات".[١]

و"القتَّات" هو النمَّام، قال الجوهري: يقال نم الحديث ينمه وينمه نمًا، والرجل نمّام، وقته يقُتُّه قتًا[٢]، قال العلماء: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم.

فالنميمة كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز أو بالإيماء.

فلفظة "قتَّات" أبلغ في تصوير المعنى، وآكد في تحقيق المراد؛ لما فيها من دلالة على الإصرار والتعمد، وتتبع الأمر، والحرص على السعي في الإفساد بين الناس، ودليل ذلك مجيء الكلمة على صيغة المبالغة "فعَّال"؛ للإشارة إلى كثرة القت، وتكرار هذه السوأة من هذا الرجل التي حُرِم بسببها من دخول الجنة.

كما أن بناء الكلمة على هذه الصيغة فيه دليل – أيضًا– على أن هذه الصفة صارت طبيعة تلازمه، وسجية تلاصقه، وعادة لا ينفك عنها بحال؛ ولذا حرمت عليه الجنة لأنه اشتهر بهذه الفعلة القبيحة، وما زال يتبع السيئة السيئة.

وتنكير "قتَّات" للتحقير والإساءة، وأنه بلغ في الوضاعة حدًا لا يدرك؛ لأن حقيقة النميمة: إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه، فالقتات فاسق بغيض عند الله – تعالى، ويجب بغض من أبغضه الله – تعالى.

١– صحيح البخاري: ٨/ ١٧، باب ما يكره من النميمة، رقم الحديث: ٦٠٥٦، وصحيح مسلم: ١/ ١٠١، باب بيان غلظ تحريم النميمة، رقم الحديث: ١٠٥.

٢– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري: ١/ ٢٦٠ "قتت"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

سادسًا: مقام التحذير من الخصال الذميمة

ومنه كلمة "تناجشوا" الواردة في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه–، أن رسول الله ﷺ قال: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا"[1]، ورواية مسلم: "لا تناجشوا، ولا يبعْ المرء على بيع أخيه، ولا يبعْ حاضر لبادٍ، ولا يخطب المرء على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق الأخرى لِتَكْتَفِئَ ما في إنائها".[2]

فهذه اللفظة تتسم بعموم الدلالة وشمولها؛ لتتناسب هذه الدلالة الصرفية مع مقام التوجيه والإرشاد، أو التحذير من الوقوع في هذه الخصال الذميمة؛ لأنها تفيد مدح السلعة والزيادة في ثمنها، مع عدم إرادة شرائها؛ إغراءً لغيره، وإيقاعًا به.

وصيغة التفاعل تصور التجاذب والتنافس الذي يحصل بين المشترين أثناء عرض السلعة للبيع، فالرغبة في الشيء والانفراد به نهى عنه الإسلام حتى لا يدب الحقد، ويفشو البغضاء بين أفراد المجتمع.

ودخول أداة النهي على كل خصلة من الخصال المذكورة لتأكيد النهي وتقريره، وأن كل واحدة من هذه الخصال تستحق النهي عنها بمفردها؛ لشدة خطورتها، وعظيم أثرها على الفرد والمجتمع.

والجمع بين هذه الأمور كلها فيه مراعاة نظير؛ لأنها من الأخلاق القبيحة، والخصال الذميمة التي ينبغي التنبه لها، والحذر منها، وعدم الوقوع فيها.

١- صحيح البخاري: ٨/ ١٩، باب {يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا}، رقم الحديث: ٦٠٦٦.

٢- صحيح مسلم: ٢/ ١٠٣٣، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه، حتى يأذن أو يترك، رقم الحديث: ١٤١٣.

وهذه الصفات خرجت في الترتيب مخرج الترقي من الأدنى إلى الأعلى في الشر والفساد؛ فالتحسس أدنى من التجسس، والتناجش أقوى من التجسس، وكذلك التحاسد والتباغض.

ولا يخفى أن إخراج الكلام مخرج الترقي أبلغ في تقرير المعنى وتوكيده؛ لأن فيه نوعًا من التلطف في النهي، والملاينة في الخطاب.

سابعًا: مقام تحريم مطل الغني

ويندرج تحت هذا المقام كلمة "لي" الواردة عند البخاري عن النبي ﷺ قال: "لي الواجد يحل عقوبته وعرضه".[1]

وألوى بحقي ولواني: جحدني إياه، ولويت الدين، فاللي هو المطل؛ ومنه قول الأعشى:

يلوينني ديني، النهار، وأقتضي ... ديني إذا وقذ النعاس الرقدا

لواه غريمه بدينه يلويه ليًّا، وأصله لويًا[2]، حيث اجتمع الواو والياء، وكان السابق منهما متأصلًا في الذات والسكون، فقلبت الواو إلى ياء، وأدغمت الياء في الياء، كما قرره الصرفيون في باب الإبدال والإعلال.

و"اللي" أبلغ من المطل – في هذا المقام– لأن فيها نوع إخفاء وستر وإنكار، وعدم اعتراف بهذا الحق الذي عليه، بخلاف المطل فقد يكون مع الإقرار والاعتراف؛ إلا أن فيه تأجيلًا وإمهالًا.

وتخصيص "اللي" بـ"الواجد" – عن طريق الإضافة– فيه تبشيع وتشنيع لانتفاء عذره؛ لقدرته على سداد الدين، فالواجد هو الموسر الذي يستطيع أن

١– صحيح البخاري: ٣/ ١١٨، باب لصاحب الحق مقال.

٢– لسان العرب: ١٥/ ٢٦٣ "لوي".

يؤدي دينه، وقال العلماء المراد من قوله "يحل عرضه" بأن يقول: ظلمني ومطلني، وعقوبته الحبس والتعزير.

وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوية الحكم وتوكيده؛ لتكرار الإسناد والتوطئة والتمهيد – أيضًا.

ثامنًا: مقام كيفية خلق الآدمي في بطن أمه

ويتبين لنا في هذا المقام كلمة "مخصرة" الواردة في حديث علي – رضي الله عنه–، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينْكُت بمِخْصَرَتِه، ثم قال: "ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة.. ".[1]

والمخصرة ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة أو قضيب وما أشبهها، وقد يتكأ عليه، والمخصرة: كانت من شعار الملوك، والجمع المخاصر.[2]

وإنما أوثر التعبير بهذه اللفظة على وزن اسم الآلة للإشارة إلى أن النكس كان بغير عنف وشدة؛ ودليل هذا من نسبتها إلى الخصر؛ كأنها شيء ينبه به المرء بالنخز أو النهز في خصره، ثم إنها تحمل تحت الخصر – غالبًا– للاتكاء عليها.

فهذه اللفظة تتواءم مع مقامات الموعظة والنصح والإرشاد دون غيرها؛ كـ"العصا" مثلًا التي قد يعبر بها عن تسخير الناس واسترعائهم وما في ذلك من

١– صحيح البخاري: ٢/ ٩٦، باب موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله، رقم الحديث: ١٣٦٢، وصحيح مسلم: ٤/ ٢٠٣٩، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث: ٢٦٤٧.

٢– لسان العرب: ٢/ ٢٤٣ "خصر".

سوق وبطش وهيمنة، كما في حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه".[١]

تاسعًا: مقام تقرير حكم شرعي

ومن صور الغريب الذي ينضوي تحت هذا المستوى ما ورد في مقام النصح والإرشاد لتقرير حكم شرعي من حديث رافع بن خديج، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الخليفة من تهامة، فأصاب القوم إبلًا وغنمًا، فعجلوا فأغلوا به القدور، فانتهى إليهم رسول الله ﷺ فأمر بالقدور فكُفِئَتْ، فعدل عشرة من الغنم بجزور، قال: ونَدَّ منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه، فقال رسول الله ﷺ: "إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما غلبكم منها فاصنعوا به هكذا.."[٢].

وورد الحديث برواية أخرى: "..فأمر بالقدور، فأُكفِئت.."[٣]، ورواية "أُكفِئت" أقوى دلالة، وآنس معنًى، وأبلغ تصويرًا لمقام اتباع الصحابة –رضي الله عنهم– لأمر النبي ﷺ.

ودليل هذا أن ما أصابوه من هذه النكبة كان حرامًا، ولم يُحل لهم، ويؤيده ما روي عن ابن عباس قال: انتهب الناس غنمًا فذبحوها، ثم جعلوا يطبخون، فجاء رسول الله ﷺ فأمر بالقدور فأكفئت وقال: "لا تحل النهبة".[٤]

١– صحيح البخاري: ٤/ ١٨٣، باب ذكر قحطان، رقم الحديث: ٣٥٢٨، وصحيح مسلم: ٤/ ٢٠٣٩.

٢– المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني: ٤/ ٢٦٩، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية– القاهرة، الطبعة الثانية، (د.ت).

٣– السابق نفسه: ٤/ ٢٧٠.

٤– السابق نفسه: ١٠/ ٢٧٢.

ولعل هؤلاء الكافئين قد دخلوا دار الإسلام، والأكل – حينئذ– لا يحل، فينبغي القسمة أولًا.

والصيغة تصور – بصيغتها ومادتها– فرط صعوبة الأمر على هؤلاء المضارين من شدة الجوع، وعظيم مشقته على نفوسهم، وأن الموقف كان في غاية الثقل عليهم، والصيغة الأخرى لا توحي بمثل هذه المعاني.

فـ"أُكفِئت" تدل – بالزيادة فيها– على قوة الكفء وشدته، وأنه كان بعنف، كأنها قلبت رأسًا على عقب، أما "الكفء" – بدون زيادة– فيدل على ضعف الكفء وسهولته، وأنه كان عن تؤدة ولين.

فصيغة "أُكفِئت" قد توحي بتمام الكفء وكماله، وأنه كان رأسًا على عقب، بخلافه "كُفِئت" التي لا تشي بكل هذه المعانى، وإنما قد تدل على ما يحقق الغاية ويوصل إلى الغرض.

على أن صيغة "أُكفِئت" يمكن أن تكون قد راعت حال الكافئين – أيضًا–، وناسبت ما هم فيه، وأن الأمر كان في غاية السهولة عليهم، ولم يحوجهم لبذل مزيد من الجهد والطاقة.

ولا يخفى أن هذا المعنى يتناسب مع الكافئين – إن كانوا من غير الصحابة؛ باعتبار أن الأمر لم يعنهم شيئًا حتى يكون صعبًا على أنفسهم، وأما إن كان من أوقد القدور جماعة من الصحابة؛ فلا وجه لهذا المعنى.

وبنيت الصيغة في الروايتين للمجهول لعدم تعلق الغرض من الكلام بتعيين الفاعل، كما لا يخفى.

وصيغة الماضي تدل على تحقق الوقوع، وأن الكفء فُرغ منه وانتهى إلى ما يريده النبي ﷺ، ودليل هذا عطف الفعل بالفاء – التي تدل على السرعة– في الموضعين؛ كأنهم بادروا إلى الكفء إثر أمر النبي ﷺ إياهم بذلك.

ومعلوم أن الموقف يشي بأن المؤمن لا ينبغي له أن يتقدم أمر الله ولا أمر رسوله ﷺ، وأن لا يعجل عليهم.

كما أن الموقف نفسه فيه دلالة على شدة حرص النبي ﷺ على أمته، وتأديبه إياها، ونأيه بهم عما يوجب الهلاك من أكل ما ليس لهم بحق.

عاشرًا: مقام الحث على صيام شيء من شعبان

واتضح هذا المقام جليًا في حديث عمران بن حصين – رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال لرجل: "هل صمت من سرر هذا الشهر شيئًا؟" قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: "فإذا أفطرت من رمضان، فصم يومين مكانه".[١]

واللفظة التي عُدَّت من الغريب –هنا– هي "سرر"، و"السرر" بفتح السين وكسرها، وحُكى ضمها – أيضًا– وقيل: هو جمع سُرة، ويقال سِرار الشهر وسَراره – بكسر السين وفتحها– واختلف في تفسيره، والمشهور أنه آخر الشهر، وهو قول الجمهور من أهل اللغة والغريب والحديث[٢]، وسمي بذلك لاستسرار القمر فيها، وهي ليلة ثمانٍ وعشرين وتسع وعشرين وثلاثين، يعني: استتاره.

واستشكل بقوله ﷺ في حديث أبي هريرة عند الشيخين: "لا يتقدمنَّ أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم"[٣]، ولعل الرجل كان معتادًا لصيام سرر الشهر، أو كان قد نذره؛ فلذلك أمره بقضائه.

١– صحيح البخاري: ٣/ ٤١، باب: الصوم من آخر الشهر، رقم الحديث: ١٩٨٣، وصحيح مسلم: ٢/ ٨٢٠، باب صوم سرر شعبان، رقم الحديث: ١١٦١.

٢– راجع: غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم: ٢/ ٧٩ وما بعدها، وتفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم لأبي عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ): ٦٢، والفائق في غريب الحديث والأثر لجار الله الزمخشري: ٢/ ١٧١، ولسان العرب: ٤/ ٣٥٧ (سرر).

٣– صحيح البخاري: ٣/ ٢٨، باب: لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين، رقم الحديث: ١٩١٤، وصحيح مسلم: ٢/ ٧٦٢، باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، رقم الحديث: ١٠٨٢.

ووجه الضم أبلغ في الحث على صيام الثلاثة أيام من وسط الشهر، وإنما سميت بالسرر لكون الوسط بمثابة الجوف – وهو أخفى ما في الشيء– لأنها من صيغ المبالغة التي تجمع بين الكثرة والتأكيد.

ويؤكد أن المقصود بـ"سرر" الشهر وسطه ما ورد في رواية مسلم من حديث عمران بن حصين: "يا فلان، أصمت من سرة هذا الشهر؟"[1]؛ فإن السرة هي وسط الشيء، وفسر بالأيام البيض.

ويؤيده الندب إلى صيام البيض – وهي وسط الشهر– وأنه لم يرد في صيام آخر الشهر ندب، وحث على صيامه، بل ورد فيه نهي خاص، وهو آخر شعبان لمن صامه لأجل رمضان.

وإنما عبر بصيغة الجمع "سرر" – مع أن للشيء وسطًا واحدًا– للتنبيه على كثرة ما يتعلق بصيام هذه الأيام من فضائل ومناقب؛ حتى صارت – بذلك– كأنها سرر عدة، وليست سرة واحدة.

أو لعل ذلك باعتبار عددها وأجزائها؛ إذ هي ثلاثة أيام، أو للدلالة على أن كل يوم منها حقيق بهذه التسمية، جدير بها؛ لتناسبها في الفضل والشرف، ولو أفردها لدل على أنها إنما احتازت الفضل والشرف بمجموعها مجتمعة، وليس بآحادها.

وإضافة "السرر" إلى قوله "هذا الشهر" إضافة تفخيم وتعظيم، كما أن الإضافة إلى اسم الإشارة الموضوع للقريب فيها إيحاء بأنهم كانوا في شعبان، وأن الحديث قيل فيه، فهو حديث عهد وقرب زمن.

١– صحيح مسلم: ٢/ ٨١٨، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم الحديث: ١١٦١.

ثم إن في الإضافة لاسم الإشارة الموضوع للقريب ثناء عليها بالقرب – أيضًا؛ فإن الشيء القريب محبب إلى النفوس مألوف لديها، تقبل عليه وتقبله، فيتمكن منها ويستقر.

والاستفهام خرج مخرج الحث والحض والترغيب في الاستزادة من الطاعات، والإكثار من النوافل، بالتحريض على صيام أواسط الشهور، وأعظم ذلك الصيام صيام شيء من شعبان، الذي انفرد بأمور عن الشهور الأخرى، منها: وقوعه قبل شهر الطاعات والرحمات، وتوسطه بين رجب المحرم ورمضان المعظم، ومنها رفع الأعمال فيه إلى الله – تعالى– وهو الأهم.

وتنكير قوله "شيئًا" يشي بالتقليل المشوب بالتعظيم؛ لتقرير مكانة صوم هذه الأيام من شعبان، وإظهار عظيم فضلها وكبير ثوابها؛ كما سبق تفصيله وبيانه.

حادي عشر: مقام التأكيد على وصف النبي ﷺ بالعفو والصفح الجميل

وانتظمت الغريبة التالية في الحديث الذي رواه أنس بن مالك، "أن ثمانين رجلًا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلمًا فاستحياهم..".[١]

ورويت لفظة "سلمًا" بثلاثة أوجه: كسر السين وسكون اللام، وفتح السين وسكون اللام، وفتح السين واللام معًا، ولكل رواية من الروايات الثلاثة وجه من الكلام، كما لا يخفى.

فقد تعانقت الروايات الثلاثة على استقصاء المعنى والوفاء به، والإحاطة به من جميع جوانبه؛ فرواية "سِلْمًا" – بكسر السين وسكون اللام– مطابقة لواقع

١– صحيح مسلم: ٣/ ١٤٤٢، باب قول الله تعالى: "وهو الذي كف أيديهم عنكم.. الآية"، رقم الحديث: ١٨٠٨.

مقتضى الحال؛ فقد تمكن النبي ﷺ من هؤلاء الغادرين، وأقدره الله عليهم، وأسرهم جميعًا، ولم ينجُ منهم أحد.

كما أن الروايتين الأخريين "سَلَمًا- وسَلْمًا" فيها إيحاء بقوة جيش النبي ﷺ وشدة بأسه، مع نبل غايته، وسمو هدفه، حيث تمكن من أسرهم جميعًا من غير قتال، ودون أن يؤذى أحد من المسلمين، وهذا هو منهج الإسلام في حفظ النفس وحرمتها؛ حتى وإن كانت على غير الإسلام.

ثم إن فيها إشارة – أيضًا- إلى ضعف هؤلاء المعتدين الذين هبطوا على المسلمين، وحاولوا مهاجمتهم، قياسًا على قوة جيش النبي – صلى الله عليه وسلم، فمع كثرة عدد المشركين، وقوة عتادهم، وكامل تأهبهم، إلا أنهم وقعوا جميعًا في الأسر، "وهذا هو الأشبه بالقصة، فإنهم لم يأخذوا صلحًا، وإنما أخذوا قهرًا وأسلموا أنفسهم عجزًا".[1]

ورواية فتح السين وسكون اللام لم تخلُ من وجه؛ فكأنهم لما عجزوا عن قتال المسلمين والنجاة منهم – بمحاولة الفرار والتولي- رضوا بالأسر، واطمأنوا به، فكأنهم قد صولحوا على ذلك.

وهذه الرواية فيها دلالة – أيضًا- على قوة جيش المسلمين وشدة بأسهم؛ حيث لم يتمكن هؤلاء المهاجمون من القتال أصلًا، ثم إنهم لم يحاولوا المجابهة حتى يعذروا أمام أنفسهم وأهليهم، ولكنهم استسلموا وأذعنوا، وارتضوا ذل الأسر وإهانته.

وفيها من وجه آخر إيحاء بحلم النبي ﷺ وجميل صفحه وكريم عفوه، حيث استحياهم وعفا عنهم، بعد أن أحكم قبضته عليهم، وتمكن من رقابهم؛ إثر مهاجمتهم إياه.

١- شرح النووي على مسلم: ١٢/ ١٨٧.

ومع أن لكل رواية وجهًا من المعنى إلا أن مما يعضد الرواية الأولى والثالثة "سِلْمًا– وسَلَمًا" التعبير بالفعل الماضي من الأخذ "فأخذهم"، وما وراءه من إيحاء بالقوة والشدة، والأخذ على غرة وعلى وجه السرعة.

ويؤازر الرواية الثانية "سَلْمًا" قوله ﷺ في نهاية الحديث: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الفتح: ٢٤، وهذا الكف منهم إنما كان عن عجزهم وقلة حيلتهم، بظفر المسلمين عليهم وغلبتهم، فارتضوا الأصل صلحًا؛ إبقاءً على حياتهم، وحفظًا لنفوسهم.

ويقوي رواية "سِلْمًا– وسَلَمًا" هيئة الحركات "الابتداء بالكسرة فالسكون، وتعاقب الفتحتين في الرواية الثالثة"، ولا شك في أن كسر أول الكلمة وسكون ما بعده – أو تعاقب الفتحتين على فاء الكلمة وعينها– أقوى دلالة من فتح فاء الكلمة وتسكين عينها؛ فإن الفتحة هي أخف الحركات وأقلها كلفة في النطق؛ ولذلك جاءت الحركة القوية مع المعاني القوية، وجاءت الحركة الضعيفة مع المعاني الضعيفة.

وأرى أن رواية "سَلْمًا" – بالفتح والسكون– أبلغ في تصوير هذه المعاني؛ فإن السكون أضعف من الفتح.

وإنما عبر بالمصدر "سلمًا"، ولم يقل: "مستسلمين"؛ للمبالغة في الدلالة على استسلامهم، والتأكيد على شدة ضعفهم وغاية وهنهم، وأنهم لما يجابهوا أدنى مجابهة، ولم تكن لهم شوكة أصلًا ولا شكيم، ومن وراء هذا تعريض بقوة جيش المسلمين وشدة بأسهم، وأنهم – مع ذلك– كانوا على نهاية الحيطة وشدة الحذر.

ثاني عشر: مقام نصح وإرشاد

واللفظة الآتية وردت في حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر: "..قال رسول الله ﷺ «أي رجل مع جابر؟» فقام جبار بن صخر، فانطلقنا إلى البئر، فنزعنا في الحوض سجلًا أو سجلين، ثم مدرناه، ثم نزعنا فيه حتى أفهقناه،

فكان أول طالع علينا رسول الله ﷺ، فقال: «أتأذنان؟» قلنا: نعم، يا رسول الله، فأشرع ناقته فشربت، شنق لها فَشَجَتْ فبالت، ثم عدل بها فأناخها..".[1]

فاللفظة الغريبة في هذا الحديث قوله "فشجت"، يقال: فشج البعير إذا فرج بين رجليه للبول، ورويت هذه اللفظة بتشديد العين وبعدم تشديدها – أيضًا، ورواية تشديد عين الكلمة أقوى دلالة وأبلغ تصويرًا لذلك التفريج؛ لما في تضعيف عين الفعل من دلالة على الكثرة والقوة، يقول الأزهري: "والتَّفْشيجُ: أشد من الفُشْحِ، وهو تفريج ما بين الرجلين".[2]

على أن رواية عدم التضعيف "فَشَجَتْ" أوفق بالغرض، وأكثر مطابقة لحال ناقة النبي ﷺ في الحشمة؛ ولذلك رجح النووي وغيره رواية الفتح حيث يقول: "وهذا الذي ذكرناه من ضبطه هو الصحيح الموجود في عامة النسخ، وهو الذي ذكره الخطابي والهروي وغيرهما من أهل الغريب".[3]

والتفريج على هذا النحو – الذي تصوره الكلمة مضعفة العين– لا يليق بناقة النبي ﷺ لشدة فتحه، وإن كانت من العجماوات التي لا تعقل، فقد كان لها من الأخلاق والطباع ما ليس في غيرها.

ونقل النووي توجيهات عدة لرواية التضعيف منها ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين فشجت – بتشديد الجيم– وتكون الفاء زائدة للعطف، وفسّره الحميدي في غريب الجمع بين الصحيحين له قال معناه: قطعت الشرب، من قولهم: شججت المفازة: إذا قطعتها بالسير...[4]

١– صحيح مسلم: ٤/ ٢٣٠٥، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، رقم الحديث: ٣٠١٠.

٢– تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري: ١٠/ ٢٨٨، باب الجيم والشين.

٣– شرح النووي على مسلم: ١٨/ ١٤٠.

٤– راجع: شرح النووي على مسلم: ١٨/ ١٤٠.

وترك العطف بين "فشجت" و"شنقت" للدلالة على أن الفعلين وقعا في لحظة زمنية واحدة، وليس بينهما مدة.

ثم إن الفعل نفسه يناسب عملية التفريج بين الرجلين؛ لما في الشين من التفشي الذي يلائم عملية التفريج بين الأرجل، ويصورها تصويرًا دقيقًا.

الخاتمة

وبعد التطواف في هذه الرحلة الماتعة مع قطوف يانعة من بلاغة البيان النبوي؛ يمكننا أن نجمل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يأتي:

١- تداخل المستويات الثلاثة التي انضوت تحتها تلك الألفاظ الغريبة، ورقة الحد الفاصل بينها؛ فجميع العناصر اللغوية التي يتألَّف منها متفاعلة ومتداخلة معًا في إيصال المعنى.

٢- جاءت الألفاظ الغريبة مصورة للمقام، وملبية لحاجة المعنى وطبيعة الموقف.

٣- استعمال الألفاظ الغريبة جاء مطابقًا لمقتضى حال المخاطبين بها؛ حيث كان بعض السائلين يميل للتقعر واستعمال الغريب، فخاطبهم ﷺ بما يعرفون وبه يتشدقون.

٤- اجتماع أكثر من لفظ غريب في سياق واحد من البيان النبوي، وتعانقها؛ إذ يفسر بعضها بعضًا، ويقرر بعضها معنى الآخر.

٥- برز ورود أكثر من لفظ غريب في مقامات التوجيه والنصح والإرشاد؛ لأنه من المقامات التي تتطلب فضل توضيح وتقرير وبيان وتفصيل؛ ليعلق الأمر بالذهن ويستقر في وجدان المنصوح، فيقدم على امتثاله بجد وحرص.

٦- تنوع المقامات التي وردت فيها الألفاظ الغريبة؛ وهذا ما أدى إلى تنوع تلك الألفاظ، وعمل على إثراء دلالتها.

٧- رويت اللفظة الغريبة – أحيانًا- بأكثر من صيغة، وكان لكل رواية منها توجيهه وغرضه؛ ورجحت من تلك الروايات ما ناسب المقام واختلاف أحوال المخاطبين.

٨- بعض الألفاظ الغريبة تشي بشدة تنفير وعظيم تحذير، وإخراج الكلام هذا المخرج أوفق بمقتضى حال المخاطبين من العرب، إذا كان النهي عن عادة متأصلة فيهم، نُشِّئوا عليها واعتادوها؛ فاقتضى اقتلاع هذه العادة والكف عنها أسلوبًا قويًا، ونغمًا أخاذًا يفي بهذا الغرض ويحقق المطلوب.

ثبت لأهم المصادر والمراجع

- أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
- الإيضاح للخطيب القزويني وبهامشه بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب– القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
- تاج العروس، لمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية– القاهرة، (د.ت).
- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم لأبي عبد الله بن أبي نصر، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة– القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.
- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط– التتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني– مطبعة الملاح– مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م وحتى ١٩٧٢م.
- دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهرة الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة– دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.
- الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان– الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.
- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).

- السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.
- شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت، (د.ت).
- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ت).
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي"، د. محمود السعران، دار النهضة العربية- بيروت، ١٩٩٢م- ١٤١٢هـ.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (د.ت).
- غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني– بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: د. حسين محمد شرف، مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية– القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.
- غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م.
- غريب الحديث للخطَّابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر– دمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر لجار الله الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة– لبنان، الطبعة الثانية، (د.ت).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، أخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب دار المعرفة– بيروت، ١٣٧٩هـ.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
- لسان العرب لجمال الدين ابن منظور، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة– بيروت، (د.ت).

- المطول لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة الثانية، (د.ت).
- مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
1	المقدمة	١٧٩٥
2	التمهيد	١٧٩٩
3	مفهوم الغريب في المعاجم اللغوية	١٧٩٩
4	مفهوم الغريب عند علماء الحديث	١٨٠٠
5	مفهوم الغريب عند البلاغيين	١٨٠١
6	أسباب كثرة الغريب في البيان النبوي	١٨٠٣
7	المبحث الأول: الغريب على المستوى الدلالي، واشتمل على أحد عشر مقامًا:	١٨٠٤
8	أولًا: مقام سوق البشرى بظهور أمة النبي ﷺ على سائر الأمم	١٨٠٤
9	ثانيًا: مقام تصوير حال الإيمان في انقباضه وانتشاره	١٨٠٦
10	ثالثًا: مقام النصح والتوجيه والإرشاد	١٨٠٨
11	رابعاً: مقام تصوير فضائل الأنصار وشدة قربهم من رسول الله ﷺ	١٨١١
12	خامسًا: مقام تصوير عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله	١٨١٣
13	سادسًا: مقام الإنذار والتحذير	١٨١٤
14	سابعًا: مقام الملاعنة	١٨١٦
15	ثامنًا: مقام تقرير حرمة هدايا العمال	١٨١٧
16	تاسعًا: مقام جواز مخالطة المشركين	١٨١٨
17	عاشرًا: مقام الحديث عن أشراط الساعة	١٨٢٠
18	حادي عشر: مقام تحريم وطء الحامل السبية	١٨٢١

19	المبحث الثاني: الغريب على المستوى الصوتي، واشتمل على أربعة عشر مقامًا:	١٨٢٢
20	أولًا: مقام تعليم وتوجيه	١٨٢٢
21	ثانيًا: مقام التحذير من الخوارج وفضح صفاتهم	١٨٢٤
22	ثالثًا: مقام بيان إثم مانع الزكاة	١٨٢٥
23	رابعًا: مقام آداب قضاء الحاجة	١٨٢٧
24	خامسًا: مقام الامتنان والتفضل	١٨٢٧
25	سادسًا: مقام نهي وبيان	١٨٢٩
26	سابعًا: مقام التحذير من إضاعة الصلاة	١٨٣١
27	ثامنًا: مقام تحريم الكهانة والتحذير منها	١٨٣٢
28	تاسعًا: مقام تقرير حق الجار وأولويته بالشفعة	١٨٣٣
29	عاشرًا: مقام تصوير صفة الوحي في الشدة والثقل	١٨٣٥
30	حادي عشر: مقام حسن المعاشرة مع الأهل	١٨٣٧
31	ثاني عشر: مقام التحذير من التسمي بملك الأملاك	١٨٤١
32	ثالث عشر: مقام بيان الرضاعة التي تثبت بها الحرمة	١٨٤٢
33	رابع عشر: مقام الرُّقَى والتعويذ	١٨٤٤
34	المبحث الثالث: الغريب على المستوى الصرفي، واشتمل على اثني عشر مقامًا:	١٨٤٦
35	أولًا: مقام ثبوت الشفاعة وإثبات رؤية المؤمنين لربهم	١٨٤٦
36	ثانيًا: مقام النهي عن اشتمال الصماء والاحتباء في ثوب واحد	١٨٤٩
37	ثالثًا: مقام بيان تحريم إيذاء الجار	١٨٥١
38	رابعًا: مقام وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض	١٨٥٢
39	خامسًا: مقام تغليظ حرمة النميمة	١٨٥٤

40	سادسًا: مقام التحذير من الخصال الذميمة	١٨٥٥
41	سابعًا: مقام تحريم مطل الغني	١٨٥٦
42	ثامنًا: مقام كيفية خلق الآدمي في بطن	١٨٥٧
43	تاسعًا: أمه مقام تقرير حكم شرعي	١٨٥٨
44	عاشرًا: مقام الحث على صيام شيء من شعبان	١٨٦٠
45	حادي عشر: مقام التأكيد على وصف النبي ﷺ بالعفو والصفح الجميل	١٨٦٢
46	ثاني عشر: مقام نصح وإرشاد	١٨٦٤
47	الخاتمة	١٨٦٧
48	ثبت المصادر والمراجع	١٨٦٨
49	فهرس الموضوعات	١٨٧٢